الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة قضية "الاختيارات الشعرية" من منظور أوسع؛ لتشمل كثيرًا من المعالجات ذات الطابع التاريخي، والسِيَرِيّ، وقد اخترت أن يكون كتاب:(مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل الحموي) حقلًا لها؛ نظرًا لأهميته وقيمته التاريخية والأدبية، واعتماد صاحبه في اختياراته الشعرية على كثير من المعايير النقدية التي تصُبُّ في مفهوم الجودة الفنية، وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وقد جاء البحث بعد المقدمة في توطئة تناولت "الاختيارات الشعرية ومعايير الجودة الفنية"، ثم المبحث الأول، "جمال الأسلوب" ويشتمل على محورين: "إصابة المعنى"، و"الجمع بين جودة اللفظ وإصابة المعنى"، ثم المبحث الثاني، "الصدق"، ويشتمل على محورين: "الصدق في اختيارات ابن واصل"، و"أشعار المديح بين الفن والنقد"، ثم المبحث الثالث، "الشهرة ونبل القائل"، ثم الخاتمة، وكان من أهم النتائج أن ابن واصل كان صاحب منهج انطباعي، يستند إلى موهبة شعرية، وذائقة نقدية، مكَّنتهُ من اختيار أشعار مفرج الكروب وفق معايير الجودة التي حددها النقاد، ومنها: معيار جمال الأسلوب، بما ينطوي عليه من إصابة المعنى، وجودة اللفظ، ومعيار الصدق، ومعيار الشهرة. وبعدها فهرس للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.

الكلمات المفتاحية: معايير ـ الجودة ـ الفنية ـ اختيارات ـ ابن واصل ـ الشعرية ـ مفرج الكروب.

Summary:
This research aims to study the issue of "poetic choices" from a broader perspective, to include many treatments of a historical and biblical nature, and I have chosen to have a book: (The Release of The Crop in The News of Beni Ayoub for Ibn Wasel Al-Hamwi) a field for it, due to its importance and historical and literary value, and its author's reliance on many critical criteria that pour into the concept of artistic quality, and the research came after the introduction in a preface to "poetic choices and quality standards", and then the first research, "Beauty of Style" and includes two themes: "Injury to meaning", "combining the quality of pronunciation with the injury of meaning", then the second research, "Honesty", includes two axes: "Honesty in ibn Wasel's choices", "Poems of praise between art and criticism", then the third research, "Fame And the nobility of saying ", then the conclusion, One of its most important results was that Ibn Wasel had an impressionist approach, based on poetic talent and critical taste, which enabled him to choose the poems of the al-Karroub release in accordance with the quality standards set by critics, including: the criterion of the beauty of style, with its injury to meaning, the quality of the word, the standard of honesty, and the standard of fame. and then an index of sources and references, and another topics.

Keywords :quality- standards- artistic - choices- son wasel- noodles- released crop.

المقدمة

الحَمدُ لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام الأتمَّان الأكمَلان على معلم الناس الخير، سيدنا محمَّد ﷺ أفصح الناس لسانًا، وأحسنهم فهمًا وذوقًا وكلامًا... صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فقد شاع في الأوساط الأدبية والنقدية الرَّبط بين قضية الاختيارات الشعرية، وكتب الاختيارات أو المنتخبات؛ لكنه بشيء من التأمل والتوسع في الرؤية، يتراءى للدارس أنها ليست حِكرًا على هذه الكتب وحدها، فهناك كتب التاريخ والسير التي تدخل في صُلب قضية الاختيارات؛ لأنه ما من مؤلف إلا وله منهج في كتابه ـ صَرَّحَ به أو لم يُصرِّح ـ يعبر عن ذوقه في عملية الاختيار ـ شعرية كانت أو غير شعرية ـ فضلًا عن أنها تؤرخ لأوقات القوة والانتصار، وفترات الضعف والانكسار؛ فالكتب التي تجمع بداخلها كمًّا كبيرًا من الشعر، لا يمكن تجاهلها بحال من الأحوال؛ لأنها ـ في رأيي ـ تعيد صياغة الرؤية التاريخية، فتارة تضيف أشياء لم تذكر في كتب التاريخ غير المهتمة بالاختيار الأدبي، وتارة تؤكِّد على أشياء أخرى قد ذُكرت من قبل؛ ومن ثمَّ تكون المحصِّلة لوحة بانورامية مكتملة القسمات والألوان لتاريخ الأدب العربي، تُضِيءُ عند لقطات الرقي والانتعاش، وتُظلِمُ عند لقطات الضعف والتأخر ـ لاسيما ـ وأنها لا تعالج زاوية واحدة من نواحي الحياة، بل تتعرض لكل الزوايا على مستوى الدُّول، والرموز والشخصيات، والأحداث والمواقف بصورة مستفيضة.

وبعد نظرة متأنية في كتاب: (مفرج الكروب...)، أزعم أن الذي حرَّك ابن واصل(٦٩٧هـ) في اختياراته الشعرية ـ لا سيما الاختيارات ذات الطابع المدحيّ ـ أيديولوجية دينية، تمثلت في حبِّهِ لدينه ومقدساته، وأيديولوجية سياسية، تمثلت في حبِّهِ لقادته وحكامه من سلاطين وملوك الدولة الأيوبية، إضافة إلى موقفه السياسي المناوئ للدولة الشيعية الفاطمية، فضلًا عن اعتماده على بعض المعايير النقدية التي كانت حاكمة على اختياراته من نتاج الشعراء الأيوبيين.

ولعلَّ من أهم الأبحاث والدراسات التي تناولت قضية الاختيارات الشعرية: دراسة الدكتور/ مقبول علي النعمة، "كتب الاختيارات الشعرية في عصر التدوين"؛ حيث تناول فيها منطلقات ومدِّيات كتب الاختيار الشعري؛ فتحدث عن بدايات كتب الاختيار الشعري، وقال إنه لا يوجد توثيق يَهدِي إليها على وجه التحديد، لكنه ذكر أن المعلقات هي أول اختيار موثوق في هذا الصدد، ومن بعدها المفضليات، والأصمعيات، وجمهرة أشعار العرب، وحماسة أبي تمام(٢٣١هـ) ـ وغيرها ـ التي تُمثِّل مرحلة مهمة في تطوُّر المنهجية في كتب الاختيار الشعري، ثم تحدث عن التنامي والفاعلية في دور هذه الكتب، لكنَّ هذه الدراسة قد وقفت عند حدود كتب الاختيار الشعري

القديمة، مثلها في ذلك دراسة "الاختيارات الشعرية حتى نهاية العصر العباسي: أسبابها وخلفياتها"، للدكتور/ سعيد صيد؛ حيث تحدث عن مفهوم الاختيار الشعري ـ وقد أفاد البحث منه ـ وكتب الاختيارات وأنواعها، وأسبابها، وخلفياتها، وقيمتها النقدية.

كما ظهر الحديث عن المنهجية في تصنيف كتب الاختيار من خلال دراسة الأستاذ/ على كرباع، "منهجية القدامى في التصنيف لكتب الاختيارات الشعرية"؛ حيث نرى فيها حديثًا عن الاختيار الشعري على أساس الجودة الفنية، أو الاختيار على أساس الموضوع الشعري، لكنَّه توقَّف ـ هو الآخر ـ عند الحديث عن حماسة أبي تمام(٢٣١هـ)، وحماسة البحتري(٢٨٤هـ).

كما أفاد البحث من دراسة "الشهرة معيارًا في كتب الاختيارات الشعرية"، للدكتورة/ صبا عبدالستار، لكنَّها هي الأخرى قد أصَّلت لكتب الاختيارات الشعرية القديمة ـ فقط ـ مراعية في المقام الأول مناهج الكتاب في الاعتماد على الشعراء المشهورين والمغمورين.

أما دراسة "الرؤية النقدية في كتب الاختيارات الشعرية"، للأستاذ/ طراد الكبيسي، فقد حاولت إماطة اللثام عن الجانب النقدي في قضية الاختيارات، مرجعًا عملية الاختيار إلى ذوق الشخص الذي يقوم بها، والذي ظهر ـ بوضوح ـ من خلال متابعته التطور الذي لحق بهذه القضية، ابتداءً من حماسة أبي تمام(٢٣١هـ)، ثم ما تلاها من حماسات، كما استخدم مصطلح (النقد الضمني) وأدرج بعض الكتب القديمة تحته، ومن أبرزها كتاب: (طبقات فحول الشعراء لابن سلام)، ثم ركَّزت هذه الدراسة على تنوُّع كتب الاختيارات في العصر الحديث، وقد رأى أنها تُعدُّ مظهرًا طبيعيًا؛ لأنها تعتمد على قاعدة تفاوت الأذواق، والمؤهلات الثقافية والفكرية، ورؤية صاحب الاختيار الشعري كفعالية ابداعية، ثم مثَّل لذلك بديوان الشعر العربي لأدونيس...

والملاحظ أن هؤلاء الدارسين قد وقفوا بالحديث عن أسس ومعايير الاختيار عند كتب الاختيارات الشعرية المعروفة ـ قديمًا وحديثًا ـ اللهمَّ إلا محاولة الأستاذ/ طراد الكبيسي، إدراج بعض كتب الطبقات والتراجم تحت مصطلح (النقد الضمني)، ولم يدخلها صراحة مع كتب الاختيارات الشعرية القديمة، مع أنَّها تُعدُّ مجالًا منسيًا يهتم بالاختيار الأدبي ـ لا سيما الشعري ـ يرتبط به مجال آخر مهمٌ، وهو التصنيف التاريخي الذي له مناهجه وضوابطه.

ومن هذا المنطلق، كان اختيار عنوان هذا البحث:(معايير الجودة الفنية في اختيارات ابن واصل(٦٩٧هـ) الشعرية في كتابه: "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب")؛ ليكون لبنة جديدة في صرح قضية الاختيارات، ويساهم في توسيع الرؤية النقدية لقضية الاختيارات الشعرية التي ينبغي أن تنفتح على كتب التاريخ والسير التي تهتم بالاختيار الشعري، وسوف تقوم هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي.

وتنقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة مباحث، يسبقها مقدمة، وتمهيد يتناول: "الاختيارات الشعرية

ومعايير الجودة الفنية"، ويتبعها خاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.

أما المبحث الأول: فينتظم الحديث فيه عن معيار "جمال الأسلوب"، ويشتمل على محورين، الأول: "إصابة المعنى"، والثاني: "الجمع بين جودة اللفظ وإصابة المعنى"، والمبحث الثاني: ينتظم الحديث فيه عن معيار" الصدق "، ويشتمل على محورين، الأول: "الصدق في اختيارات ابن واصل"، والثاني: "أشعار المديح بين الفن والنقد"، والمبحث الثالث: معيار" الشهرة ونبل القائل".

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

التمهيد

الاختيارات الشعرية ومعايير الجودة الفنية

- **مفهوم الاختيارات الشعرية:**

بات معلومًا أن الاختيار[١] يعبر عن ذوق الشخص الذي يختار، فهو ـ دائمًا ـ يبحث عمَّا يتوافق مع أفكاره أو (أيديولوجياته)، واتجاهاته ومواقفه؛ فالاختيار مرهون" بما يمثله من قيم فكرية وفنية"[٢]، تلقى قبولًا عند القائم بعملية الاختيار، والمتلقي الذي يمثل حاجة العصر التي تقبل فنًا وترفض آخر.

يضاف إلى ما سبق، تلك القيمة التاريخية التي نحصِّلها عن طريق الرواية التي تقوم على التوثيق، "والاحتفاظ بالنصوص التي تسجل وقائع تاريخية، أو أحداثًا، أو تمثل نموذجًا للفن في فترة من الفترات في حضارة معينة"[٣] .

ولقد أحسن الدكتور/ محمود الربيعي، عندما رأى أن كتب الاختيار في الأدب العربي، جعلت من هذا الأدب ـ وبخاصة الشعر ـ بانوراما حية مضيئة أمام كل ناظر أو مهتم بهذا التراث العربي[٤].

وهذا ما أطَّرهُ أصحاب المعاجم الأدبية، وبعض الباحثين، عندما تعرضوا لتحديد مفهوم الاختيارات، فمنهم من قال هي: قطع مختارة من كتاب أو عدة كتب، تُبرز نضج فترة أدبية، وممارسة أسلوبية خاصة، كما أنها قراءة تأويلية تعتمد فرز الأعمال وترتيبها[٥].

ومنهم من قال هي: "مجموعة من القطع المختارة نثرية أو شعرية أو هما معًا لمؤلفٍ واحد أو أكثر يكون الغرض منها عادة تعريف القارئ بخَيْر ما كتب مؤلف أو أكثر أو ما أنتجه عصر من عصور الأدب"[٦].

ومنهم من قال هي:" مجموعة من المصنفات الشعرية التي انتخبها أصحابها من عيون الشعر

---

(١) الاصطفاء، وخار الشيء: انتقاه واصطفاه. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط/ ٣، ١٤١٤هـ، ٢٦٧/٤ مادة(خار)، وتاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون، ١١/ ٢١.

(٢) البلاغة العربية (أصولها وامتداداتها): محمد العمري، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء، المغرب، بدون، ٧٠.

(٣) السابق:٧٠.

(٤) ينظر: نصوص من النقد العربي القديم مع مقدمة تحليلية: د. محمود الربيعي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢٠٠٠م، ٤.

(٥) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٥م، ط/١، ٢١٠.

(٦) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط/٢، ١٩٨٤م، ٣٤٢.

العربي قديمًا وحديثًا، ورأوا أنها الأحق والأجود في التمثيل؛ لذا اختاروها"[١] .

لكن عملية الاختيار الشعري ليست محصورة في كتب الاختيارات المعروفة[٢]؛ وإنَّما فائدتها، ومنهجياتها، وطرق عرضها، تمتد إلى كتب التاريخ والسير، وإن لم يصرح أربابها بذلك؛ ولعلَّ عدم وضوح مفهوم الاختيار، وعدم اكتمال الرؤية حوله راجعٌ إلى اشتهار هذه الكتب بين النقاد والأدباء بالاعتماد على الرواية التي تركز على التوثيق، ونقل النصوص كما هي.

فروَّاد الشعر في كل عصرٍ ومصرٍ في مقدورهم أن يؤرخوا مثلهم مثل المؤرخين تمامًا بتمام، بل تميزهم تلك الصبغة الفنية والحالة التي يضفيها الشعر على المتلقي، ويعد شعر المديح من أقدر أغراض الشعر الذي يستطيع شعراؤه فعل ذلك، يبقى ـ فقط ـ من يغوص في هذه الأشعار؛ ليختار منها ما يعبر عن ذوقه وذوق عصره، وعن الحيوات المختلفة فيه، ولا شكَّ في أن ذلك قد حاز اهتمام معظم كتَّاب التاريخ؛ لكنه يحتاج إلى من ينقِّب عنه في مصنفاتهم؛ ليزيل عنه الركام والأتربة.

ومن هنا نستطيع القول: إن الاختيارات الشعرية هي عملية انتقائية للأشعار، محكومة بمنهج نقدي، وإطار زمني، يحويها مؤلف خاص، أو تجيء في ثنايا معالجة أخرى، تشير ـ ضمنًا ـ إلى مواطن الانتصار والإخفاق، ومراحل التطور والضعف والتأخر على المستوى التاريخي والفني.

- **معايير الجودة الفنية:**

لا يختلف اثنان على أن الأدب يقوم على ركنين أساسيين هما: اللفظ والمعنى، لا يُستغنى بأحدهما عن الآخر، فالأدب "فن جميل، لا يراد به عرض المعاني فحسب؛ ولكن يراد به عرضها في عبارة جميلة مؤثرة"[٣].

وقد حصر الدكتور/ أحمد بدوي، مقاييس(معايير) نقد المعنى في عشرين مقياسًا منها: الصحة والخطأ، والابتكار والتقليد، والطرافة، والصدق والكذب، والمثالية والواقعية، والقريحة والعقل...، كما حصر مقاييس نقد الأسلوب في: دراسة المفردات وما يندرج تحتها من الدقة، والسهولة، والرقة، ومقياس الوضوح، والقوة، والمحسنات البديعية، والتلاؤم بين اللفظ والمعنى، والمؤاخاة بين الألفاظ، ووحدة النسج، وغير ذلك من المقاييس[٤].

---

(١) الاختيارات الشعرية حتى نهاية العصر العباسي: أسبابها وخلفياتها. الدكتور/ سعيد صيد، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة أم البواقي، م٥، ع٢، ٢٠١٨م، ٥٧٠.

(٢) ومنها: المعلقات، والمفضليات، والأصمعيات، والحماسات، والأشباه والنظائر، وجمهرة أشعار العرب، ومنتهى الطلب من أشعار العرب، ومختارات البارودي، ومختارات أدونيس، والسحر الحلال لأحمد الهاشمي، وحب وبطولة لسليمان العيسي، ومن خيمة شاعر لغازي القصيبي ...

(٣) أسس النقد الأدبي عند العرب، د. أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٦م، ٣٦٧.

(٤) ينظر: السابق، ٣٦٨ ـ ٤٩٤.

كما أدرك النقاد العرب القدامى، معنى العاطفة بمقاييسها المختلفة؛ وإن لم ينظِّرُوا لذلك، بل أدركوا أن فقدان العاطفة في الشعر يترتب عليه أن يصير الشعر جافًا؛ لأنه في تلك الحالة يخاطب العقل وحده، من غير أن يثير الشعور ويبعث الوجدان، فيكون مثله حينئذ مثل المسائل العلمية، والقواعد النظرية.

لقد عرف النقاد العرب العاطفة الصادقة، والعاطفة الكاذبة، كما عرفوا قوة العاطفة وعمقها، بل لاحظوا تفاوت الشعراء في ذلك، كما عرفوا تنوع العاطفة؛ فهي عندهم مقياس للموازنة بين الشعراء والتفضيل بينهم، كما نلمح في نقدهم الحديث عن استمرار قوة العاطفة، كما نقدوا اختلاف النسج في القصيدة؛ فإذا انعدمت هذه المقاييس النقدية للعاطفة، قالوا عن هذا الشعر إنه قليل الماء والرونق، أي: ضعيف الحيوية لا يبعث في النفس نشاطا ولا بهجة...[١].

ومن هذا المنطلق، فإنه لا يتم الحكم على أي عمل أدبي بالجودة الفنية إلا إذا توفرت فيه مجموعة من المعايير أو المقاييس النقدية، فعلى صعيد الاختيارات الشعرية، لابد وأن تسيطر هذه المعايير على كل من له علاقة بقضية الاختيار الشعري؛ فالناظر في أغلب كتب الاختيار، يجد أن جُلَّ أصحابها قد أكَّدوا عليها في مقدمات كتبهم، والبقية الأخرى نلمحها ـ ضمناـ من خلال تعبيراتهم بين الفينة والفينة ـ خاصة ـ ما جاء في كتب التاريخ، والتراجم والسير.

ولا غرو، فقد حدد المرزوقي(٤٢١هـ)، مجموعة من المعايير ـ عند العرب ـ يجب مراعاتها من جانب الشعراء عند نظمهم، ومن جانب النقاد عند حكمهم على نتاج شاعر أو اختيارهم منه؛ حيث يقول:" إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكلة اللفظ للمعنى، وشدة اقتضائهما للقافية"[٢].

ولعلَّ ابن قتيبة (٢٧٦هـ) كان يضع بعضًا من هذه المعايير نُصْبَ عينيه، عندما أراد أن يطلعنا على منهجه في الاختيار في كتابه: (الشعر والشعراء)؛ حيث يقول: "هذا كتاب ألّفته في الشعر، أخبرت فيه عن الشعراء ... وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره ... وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته، وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها ..."[٣].

وهذه الوجوه تتمثل في قوله:" وليس كلّ الشعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى، ولكنّه قد يختار ويحفظ على أسباب منها: الإصابة في التشبيه... وقد يحفظ ويختار على خفّة الرّوىّ...

---

(١) ينظر: السابق، ٥٠٦، ٥٠٧

(٢) شرح الحماسة للمرزوقي، تح/ غريد الشيخ، وإبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢٤هـ، ط/١، ١٠.

(٣) الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ٦١/١.

وقد يختار ويحفظ لأنّ قائله لم يقل غيره ... أو لأنّ شعره قليل عزيز... وقد يختار ويحفظ لأنه غريب في معناه... وقد يختار ويحفظ ـ أيضا ـ لنبل قائله"[١].

ولعلَّنا لا نجافي الحقيقة إن أطلقنا على هذه الوجوه: معايير الجودة التي يختار الشعر عليها، فهي تنتمي إلى مقاييس نقد المعنى، أو إلى مقاييس نقد الأسلوب.

كما حدَّد العماد الأصبهاني(٥٩٧هـ) ، مجموعة من معايير الجودة في قوله:" ... بل ذكرت لكل شاعر ما وقع إلي من شعره، وأثبته، إما معني غريب، أو لفظ مستحسن، أو أسلوب رائق، أو حديث بحال من الأحوال رائق، ..."[٢].

يُلاحظ أنه جعل المقاييس النقدية التي يُحكم من خلالها بجودة الاختيار الشعري ترجع إلى: الغرابة في المعنى، والاستحسان للألفاظ، والرقة في الأسلوب، والجدة في الموضوعات.

بينما يجمع كل هذه المعايير، صاحب كتاب: (سلافة العصر)، في لفظة (الاستحسان)؛ حيث يقول:" وكتابي هذا مقصور على محاسن أخبار أهل هذه المائة، ومكسور على أحاسن أشعار هذه الفئة"[٣].

ولا شكَّ في أن الاستحسان يصحب النقاد في حكمهم على الألفاظ والمعاني، والأساليب والتراكيب، فهي ما بين: هذا لفظ حسن، وهذا معنى حسن، وهذا أسلوب حسن، وهذه عبارة حسنة...

يتضح مما سبق، أن هذه المعايير تصُبُّ في مفهوم واحد هو: (الجودة الفنية)، وأظن أنه أصبح من السهل تحديد مفهوم الجودة الفنية في الاختيارات الشعرية؛ إذ هو عبارة عن مجموعة من المعايير النقدية التي لابد من توافرها في البناء الفني للشعر، أو في قائله.

والمتأمل في ثنايا (مفرج الكروب)، يجد كثرة استخدام ابن واصل[٤] لمصطلح الجودة؛ مما

---

(١) السابق،١/٨٥- ٨٧.

(٢) خريدة القصر وجريدة العصر(قسم شعراء العراق)، العماد الأصبهاني، تحقيق/ محمد بهجة الأثري، مطبعة المجمع العلمي العراقي،١٩٥٥م، ١/١.

(٣) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ابن معصوم، ط/١، مصر، ١٣٢٤هـ، ٩.

(٤) جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل الحموي الشافعي، عرف ببراعته في التاريخ، وفي العلوم الشرعية، والفنون العقلية والأدبية، ومن شيوخه: ابن الخباز، وابن يعيش، والبرزالي، والناصر داود وغيرهم ، كما اشتغل بالإفتاء والقضاء والتدريس، فكان يدرس في مجلسه أكثر من ثلاثين علما، حتى ذاع صيته واشتهر، ومن تلاميذه: نجم الدين دبيران، وابن الأكفاني، وأثير الدين: (أبو حيان الأندلسي)، وعلاء الدين بن النفيس، والحكيم السديد الدمياطي، وغيرهم، وقدم إلى مصر مع الملك المظفر صاحب حماة، وعاش بها مدة طويلة، واشتغل بالإجازة، كما اتصل بالملك الظاهر (بيبرس)، ومن مصنفاته غير مفرج الكروب في دولة بني أيوب: " مختصر الأربعين في أصول الدين "، و " شرح الموجز في المنطق " لأفضل الدين الخونجي، و" شرح الجمل " ، و" شرح قصيدة ابن الحاجب " في العروض والقوافي، و" التاريخ الصالحي "، و" مختصر الأدوية المفردة " لابن البيطار، واختصر " الأغاني الكبير "، وكتاب " نخبة الأملاك في هيئة الأفلاك "، وتوفي في سنة (٦٩٧هـ). ينظر: أعيان العصر وأعوان النصر، الصفدي، تح/ مجموعة من المحققين، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان،

يشي بأنه كان يضع في ذهنه مجموعة من المعايير أو المقاييس النقدية التي يستند إليها عند الحكم بالجودة الفنية على اختياراته الشعرية، ونستطيع أن ندلل على ذلك ببعض الأمثلة[١]، ثم نترك الايضاح والتفصيل في المباحث القادمة.

- **مفرج الكروب(القيمة الأدبية والنقدية):**

يُعَدُّ كتاب: (مفرج الكروب...) من الكتب التي يتخذ أصحابها طريقة في الاختيار تقوم على التركيز على غرض شعري واحد، فباستقراء أجزاء الكتاب، تبيَّن أن غرض (المدح) هو المسيطر على اختيارات ابن واصل(٦٩٧هـ)؛ فمن شدة اهتمامه وإعجابه بهذا الموضوع الشعري ـ الذي يلبي عنده رغبة وهدفًا يريد أن يصل إليه ـ تراه يكثر من ذكر قصائد بطولها[٢]، وتارة يكثر من اجتزاء المقطوعات المدحية من قصيدة واحدة، فيكرر لفظة: (ومنها) أي: (من القصيدة)، وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على أنه اعتمد في منهجه على أسلوب (الاستطراد) عند ذكر الأشعار، ولو وجدت بعض الاختيارات لبعض الأغراض الأخرى[٣]، فإنها تعد قليلة بالنسبة لغرض المدح الذي يسيطر سيطرة كاملة على اختيارات ابن واصل(٦٩٧هـ)، وأغلب الظن أن إيرادها جاء ليدلَّ على بعض معايير الجودة الفنية التي يقوم عليها الاختيار الشعري عند ابن واصل، كما سنبيّن إن شاء الله تعالى.

دمشق، سوريا، ط/ ١، ١٩٩٨م،٤/ ٤٤٦- ٤٤٩، والأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط/٥، ٢٠٠٢م، ١٣٣/٦، ومقدمة الجزء السادس من مفرج الكروب، ابن واصل، تح/ عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ط/١، ٢٠٠٤م، ٦/ ٧ـ٤٠.

(١) ففي سيرة الملك الأمجد يقول ابن واصل:" ... وكان يقول الشعر الجيد البديع الذى يضاهى به شعر شعراء عصره المجيدين..."، كما يقول في حديثه عن الأمير بهاء الدين زهير:" وكان جيد الترسل بديع النظم في غاية الجودة"، كذلك يقول عن ابن مطروح: "وكان في العسكر ـ أيضاـ جمال الدين يحيى بن مطروح ناظر الجيش، وكان ـ أيضاـ فاضلا جيد الشعر"، وقوله في شعر الملك الناصر داود الذي كتبه للشيخ شرف الدين عبد العزيز بن عبد المحسن:" وهذا الشعر في غاية الجودة". ينظر: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ابن واصل، تح/ جمال الدين الشيال، ج١، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٣م، ج٢، المطبعة الأميرية، ١٩٥٧م، ج٣، دار القلم، ١٩٦٠م، القاهرة، وتح/ حسنين محمد ربيع، دار الكتب والوثائق القومية، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ج٤، ١٩٧٢م، ج٥، ١٩٧٧م، ٤ / ٢٨٥، ٢٠٩/٥، ٢٨٥/٦ .

(٢) مثل: قصيدة ابن الساعاتي في مدح صلاح الدين، وقصائد الشيخ شرف الدين في الملك المظفر وغيرها... ينظر: السابق،١٩٨/٢. ٢٠٠، ٤/ ٢٧٤، ٥/ ٦٩، ٨٤، ٩٤، ٣١٨/٥ وهي قصيدة للملك الناصر داود في رثاء الخليفة المستنصر، ومدح ولده المستعصم.

(٣) ينظر: السابق، في الرثاء ٤٢/٢، ١٩٩/٣، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٤٦، ٩٨/٤، ٣٤٣/٦- ٣٤٧، وفي الغزل ٢٧/٥، ٢٥٢/٦ـ٢٥٥، وفي الالغاز١٤٦/٥، ٦/ ٢٥٧، وفي الهجاء والتهكم والسخرية ، ١٨٧/١، ٢٦/٥، ٢١٦، وفي الشكر والشفاعة والاستعطاف،٦/ ١٩٢، ٢١٩ ...

لكنَّه منذ الوهلة الأولى، قد يتعجب الناظر إلى مقدمة (مفرج الكروب)، عندما لا يجد حديثًا لابن واصل(٦٧٩هـ) عن المنهج أو الأسس التي أقام عليها كتابه، سواء كان في التصنيف التاريخي، أو الاختيار الشعري؛ لكن هذا لا ينفي اتباعه منهجًا أو أسسًا بنى كتابه عليها.

وقد أشار الدكتور/ جمال الدين الشيال إلى جانب من منهجه في سياق حديثه عن أهمية الأشعار التي وردت في الجزء الثاني؛ حيث يقول:" وللمقطوعات الشعرية التي يضمها هذا الجزء أهمية خاصة، فإن بعضها مما انفرد ابن واصل بنقله، ولم أجده في المراجع التاريخية المعاصرة الأخرى، مثل: قصيدة ابن سناء الملك التي مطلعها: (من الطويل)

وصفتك واللاجى[١] يعاند بالعذل فكنتُ أبا ذر، وكان أبا جهل[٢]

كذلك اختيار ابن واصل لأبيات بعض المقطوعات الشعرية يختلف عن اختيار غيره من المؤرخين، كأبي شامة في الروضتين ـ مثلا ـ بمعنى أنه قد يختار في المقطوعة الواحدة أبياتًا اختارها أبو شامة عند الاستشهاد بهذه المقطوعة، وقد يختار أبياتا يغفل ذكرها أبو شامة، وخير مثال لهذا قصيدة ابن سناء الملك التي مطلعها: (من البسيط)

بدولة الترك عزّت ملّةُ العرب وبابن أيوب ذلّت شيعة الصُلُبِ[٣]

وهذا الجزء بعد هذا كله يضم مجموعة طيبة من الشعر الذى قيل في مدح صلاح الدين والإشادة بذكره وجهوده التي توّجت بفتح بيت المقدس"[٤].

وفي موطن آخر، يقول الدكتور/ جمال الدين الشيال في مقدمة الجزء الثالث:" وهذه المجموعة الضخمة من شعر العصر تزيد في أهمية (مفرج الكروب) فإن بعض هذه المقطوعات مما ينفرد هو بإيرادها ولا توجد في المراجع الأخرى، والبعض الآخر لشعراء ضاعت دواوينهم، أو لا زالت مخطوطة لم تطبع بعد مثل: ديوان شرف الدين راجح الحلى، وبعض ثالث يتضمن أبياتًا لا توجد

---

(١) كذا في مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ٢/ ١٦٠، والصواب: (واللَّاجي). ينظر: ديوان ابن سناء الملك، تح/ محمد إبراهيم نصر، د. حسين نصار، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٩م،٢/ ٢٢١.

(٢) ينظر: مفرج الكروب،٢/ ١٦٠ـ ١٦٢، وديوان ابن سناء الملك، ٢/ ٢٢١ـ ٢٢٦، وحقا فلم يذكر كتَّاب التاريخ المعاصرين لابن واصل هذه القصيدة، بل كل من جاء بعده اعتمد عليه.

(٣) ينظر: مفرج الكروب،١٤٥/٢، ١٤٦، وديوان ابن سناء الملك، ١/٢ ـ ٤، وبالرجوع إلى أبي شامة، تبيَّن أن ابن واصل لم ينقل عنه حذو النعل للنعل؛ وإنما ركز اختياره على شعر المدح؛ ممَّا يدلُّ على تفرده وعدم متابعته غيره متابعة عمياء؛ لكن هذا لا يعني التقليل من موهبة وذائقة أبي شامة الأدبية والنقدية التي اختار على أساسها ـ أيضًا ـ أجود ما في القصيدة. ينظر: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، أبي شامة، تح/ إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ ١، ١٩٩٧م، ٣/ ١٦٣، ١٦٤.

(٤) مفرج الكروب، مقدمة الناشر للجزء الثاني، ص (م).

في الدواوين المعروفة"[١].

كما كشف أحد الباحثين عن أهمية كتاب: (مفرج الكروب)، في قوله: " لولا مفرج الكروب لانْبَهَمَ علينا قرنان من قرون الأدب العربي... السادس والسابع، وضاع قدر عظيم من الشعر مما أبدعه أعلام هذا العصر من الملوك والخلفاء وسلاطين الدولة الأيوبية... "[٢].

وعلى المستوى الأدبي والنقدي، فيرى أن كتاب: (مفرج الكروب): " يعد من الركائز المهمة في النقد الأدبي، ثم إن الجمهرة الواسعة من النصوص التي يزخر بها كتاب(مفرج الكروب) مادة خصبة للدراسة الأدبية، وتشي هذه النصوص بذوق العصر، مما يمكّن الدارس من استخلاص سمات الأدب في تلك الحقبة التاريخية..." [٣].

كما أكَّد الدكتور/ عمر عبد السلام تدمري، على أن حكم ابن واصل على "جودة شعر خُشترين بن تليل[٤]، وانتقائه لشعره، وشعر الملك المنصور، يدلُّ على تذوقه الأدبي، وحفظه للقصائد أو سعيه للوقوف على مظانِّها، بعد سماعه لها وهو صغير"[٥]، وممَّا يزيد في القيمة الأدبية والنقدية لكتاب: (مفرج الكروب)، هو شعر ابن واصل نفسه[٦].

وإذا كانت هذه عادة كثير من المحققين، ودارسي التاريخ القديم، يعرِّجون ـ سريعًا ـ على بعض الأمور الأدبية؛ فإن هذا البحث يأتي ليجيب ـ بالدليل ـ على بعض الأسئلة المهمة من خلال شعر (مفرج الكروب)، وهي:

هل كان ابن واصل صاحب ذائقة فنية نقدية؟ وما هي المعايير التي كان يزن بها اختياراته الشعرية؟ وكيف كان يتعامل مع الروايات الشعرية التي ذكرها المؤرخون قبله؟ وهل كان للسماع والمعاصرة دور في اختياراته الشعرية؟ وهل حافظ ابن واصل على أفكاره ومعتقداته التي يؤمن بها، ومواقفه التي يتبناها ويميل إليها عند عملية الاختيار؟

وأما عن معايير الجودة الفنية، فيمكن توضيحها في المباحث الآتية:

---

(١) السابق، مقدمة الناشر للجزء الثالث، ص (ط).

(٢) كتاب (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل الحموي) دراسة تحليلية نقدية، عماد حمدي أحمد الإبياري، باحث ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٢١م، ٢٩.

(٣) السابق، ٢٩.

(٤) حسام الدين خُشترين بن تليل: "وهو جندي كردي وكان شاعرا مجيدا، غير أنه كان ألكن لحانا، وإذا نظم أجاد وأحسن". مفرج الكروب، ٤/ ٦٦، ٦/ ٢٧.

(٥) السابق، ٦/ ٨.

(٦) ينظر: كتاب (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل الحموي) دراسة تحليلية نقدية، ٢٩.

المبحث الأول

جمال الأسلوب

لعلَّنا لا نجافي الحقيقة إن قلنا إن الحديث عن جمال الأسلوب كان موجودًا في ثنايا التراث النقدي القديم؛ لكنَّ روَّاده لم يذكروا المصطلح كما عُرف في النقد الحديث؛ فقد كان نقدهم يجمع بين إصابة المعنى، وسهولة وعذوبة اللفظ، وقوته وجزالته؛ تأكيدًا منهم على الارتباط الشديد بين ركني الأدب الأساسيين: (اللفظ والمعنى)، فقد أكَّدَ غيرُ ناقد على أن أجود الشعر ما كان مشتملًا على البلاغة؛ فعلى سبيل المثال، يقول الآمدي(٣٧٠هـ): " وهذا أصل يحتاج إليه الشاعر والخطيب وصاحب النثر؛ لأن الشعر أجوده أبلغه، والبلاغة إنما هي إصابة المعنى، وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف كافية، لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة، ولا تنقص نقصاناً يقف دون الغاية... فإن اتفق ـ مع هذا ـ معنى لطيف، أو حكمة غريبة، أو أدب حسن؛ فذلك زائد في بهاء الكلام، وإن لم يتفق فقد قام الكلام بنفسه، واستغنى عما سواه..."[١].

وتفسيرًا لذلك، يطلعنا ابن طباطبا على مراحل الإبداع التي يمر بها بناء القصيدة الشعرية، بداية من فترة المخاض الأدبي؛ إلى الشكل النهائي الذي تعرض به للمتلقي؛ حيث يقول:" فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرًا، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي سلس له القول عليه، فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبته وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه، بل يعلق كل بيت يتفق له نظمه على تفاوت ما بينه وبين ما قبله، فإذا كملت له المعاني، وكثرت الأبيات، وفق بينها بأبيات تكون نظاماً لها، وسلكاً جامعا لما تشتت منها..."[٢].

واستنادًا إلى ما سبق، تظهر براعة كل ناقد في اختياره، أو حكمه على أي عمل شعري؛ إذا كان مدركا لمدى توفر عرض المعاني والألفاظ في النص الشعري في أسلوب جميل ومؤثر .

ولقد أصاب الدكتور/ أحمد الشايب، عندما عمَّق النظرة لمصطلح الأسلوب[٣]، فلم يقصره

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، الآمدي، تح/ السيد أحمد صقر، مكتبة الخانجي، ط/١، ١٩٩٤م،١/ ٤٢٤.

(٢) عيار الشعر، ابن طباطبا، تح/ عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون، ٧، ٨.

(٣) وقد انتهى الدكتور أحمد الشايب في تحريره إلى قوله: "العنصر اللفظي، أو الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعنى، أو نظم الكلام، وتأليفه لأداء الأفكار، وعرض الخيال، أو هو العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعاني". الأسلوب(دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)، د.أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط/٨، ١٩٩١م، ٤٦

على اللفظ وحده؛ حيث يقول ـ وهو بصدد تحريره ـ بأنه:" معان مرتبة قبل أن يكون ألفاظًا منسقة"(١).

بل يرى ـ في موطن آخر ـ أن الأسلوب الأدبي ينحلُّ إلى ثلاثة عناصر: الأفكار، والصور، والعبارات، وكذلك يكون الاختيار الذي يتناول الأفكار والصور والعبارات عملًا أسلوبيًا، هو طريقة الصياغة التي تتصرف في تلك العناصر بما تراه أليق بموضوع الكلام، ثم يزيد على هذه العناصر عنصر الوزن والقافية إذا كان العمل الأدبي هو الشعر، إضافة إلى العنصر العام المشترك في كل عمل أدبي وهو العاطفة(٢)، ولا شكَّ في أن هذا الرأي مع وجاهته وحداثته، يؤكِّدُ على سبق النقاد القدماء وفهمهم لهذا الترابط الأبدي بين اللفظ والمعنى!

الأمر الذي يجعلنا نرتضي القول بأن الأسلوب هو السمة التي تلازم الإبداع دومًا؛ إذ لا غنى لأية لغة شعرية عن خصوصية ما، تسِمُها أو تميزها من باقي الأجناس الأدبية؛ **وهذا يعني أن المعيار في الحكم على شعرية أي منتج أدبي ماثل في الأسلوب وشعرية البناء**(٣).

والمتأمل في الاختيارات الشعرية الواصلية التي جاءت مذيلة بحكم نقدي، يجد أنها كانت ـ في أغلبها ـ مراعية نقد الأسلوب، بل تعمَّقت في الاختيار، فركَّزت على ابتداع المعاني، وظرافتها، ولطافتها، وملاحتها، وفائقيتها، وروعتها، وغرابتها؛ لكنه كان يراوح في أحكامه؛ فتارة كان يركِّز على إصابة المعنى مع مراعاته كل زيادة تُنتج إبداعًا، أو توليدًا للمعاني، أو إحالتها إلى وجه آخر، يزيد الشعر بهاءً ورونقًا، وتارة يجمع بين إصابة المعنى، ودقة وجزالة الألفاظ وملاءمتها للمعاني في حكم واحد. ويمكن الوقوف على ذلك، على النحو الآتي:

- **المحور الأول ـ إصابة المعنى:**

فمن الاختيارات التي ركَّز فيها ابن واصل على إصابة المعنى مع زيادة في تحسينه(٤): حُكمُه على أشعار ابن عنين (٦٣٠ هـ)؛ حيث يقول:" ولنذكر شيئًا من أشعاره، **فإنها كلها بديعة مستظرفة**؛ من ذلك أنه لما نفاه السلطان الملك الناصر صلاح الدين ـ رحمه الله ـ من دمشق، وعاد إليها حين أذن له الملك العادل ـ رحمه الله ـ في العود إليها قال:(من المتقارب)

---

(١) السابق، ٤٠.

(٢) ينظر: السابق،٥٢.

(٣) ينظر: جماليات الأسلوب عند شعراء الحداثة، عصام شرتح، مجلة رسائل الشعر، ع٦، ٢٠١٦م، ٨٠-٩٤ .

(٤) ينظر: مفرج الكروب،٣/٣٨، ٤/١٠٥، ٥/٢٦، ٢٧...

هجـــوت الأكـــابر فـــي جلّـــق ورعـــت الوضـــيع بســـب الرفيـــع
وأخرجـــــت منهـــــا ولكننـــــى رجعـــت إليهـــا بـــرغم الجميـــع"[١]

يُلحظ أن ابن واصل قد استند في حكمه ـ على جميع أشعار ابن عنين ـ على ابتكاره المعاني البديعة والمستظرفة، التي لا يجاريه فيها شاعر من الشعراء! وهذا ـ لا شكَّ ـ يَصُبُّ في معيار إصابة المعنى؛ فما عرفنا هاجيًا يعود من منفاه رغمًا عن أنوف الجميع إلا ابن عنين! ولا شكَّ في أن هذه القوة المصحوبة برفع الهامة، نابعة من حق وصدق، ويؤكد ذلك معاتبته للسلطان صلاح الدين(٥٨٩هـ)؛ حيث يقول:(من الكامل)

فعـــــلام أبعـــــدتم أخـــــا ثقـــــة لـــــم يجتـــــرم ذنبـــــا ولا ســـــرقا
انفـــــوا المـــــؤذّن مـــــن بلادكـــــم إن كـــان ينفـــى كـــلّ مـــن صـــدقا[٢]

ومنها: حُكمه بالحسن على شعر للملك الكامل(٦٣٥هـ)؛ حيث يقول: "**ومما روى له من الشعر، وهو حسن:**(من البسيط)

إذا تحققـــتم مـــا عنـــد عبـــدكم مـــن الغـــرام فهـــذا القـــدر يكفيـــه
أنـــتم ســـكنتم بقلبـــي فهـــو منـــزلكم وصـــاحب البيـــت أدرى بالـــذي فيـــه"[٣]

ومن أقوى الأدلة على إصابة الملك الكامل في هذه المعاني الغزلية؛ أنه قد كُتب لها الاستمرارية عبر العصور، حتى وجدنا الشاعر ابراهيم اليازجي(١٣٢٦هـ) ـ وهو من المحدثين ـ يتأثر بتلك المعاني، فيقول مضمنًا[٤]: (من البسيط)

الله يعلـــم مـــا بـــالعين بعـــدك مـــن ســـهد تقاســـيه أو دمـــع تعانيـــه
أمـــا الفـــؤاد فحســـبي أنـــت ســـاكنه وصـــاحب البيـــت أدرى بالـــذي فيـــه[٥]

ومنها: حُكمه على شعر لجمال الدين بن مطروح(٦٤٩هـ)، يمدح فيه الملك الناصر

---

(١) مفرج الكروب: ٤٤/٥، ووفيات الأعيان، ابن خلكان، دار صادر، بيروت، بدون، ٥/ ١٧، والأبيات في ديوان ابن عنين، شرف الدين أبي المحاسن محمد بن نصر، تحقيق/ خليل مردم، دار صادر، بيروت، ط/٢، ١٢من المقدمة ، وفي الديوان جاء الشطر الثاني(على رغم أنف الجميع)، ويلاحظ أن الشاعر قد وفق في استخدام حرف الجر (على) الذي يفيد الاستعلاء على الجميع.

(٢) ينظر: مفرج الكروب، ٤١/٥ ديوان ابن عنين،٩٤.

(٣) مفرج الكروب، ١٦٩/٥، والوافي بالوفيات، الصفدي، تح/ أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م، ١/ ١٥٩.

(٤) وهو: أن يضمن الشاعر كلامه بيتا من مشهور غيره أو من غير مشهوره، وقد يضمن شطرًا أو أقل من شطر، وقد ينبه على ذلك أو لا ينبه ـ لا سيما ـ إذا كان البيت مشهورًا. ينظر : المعجم المفصل في الأدب، د. محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/٢، ١٩٩٩م، ٢٦١.

(٥) ينظر: ديوان إبراهيم اليازجي، الشاملة، بدون، http://www.shamela.ws ، ١٧٧.

داود(٦٥٦هـ)؛ حيث "يذكر مضاهاته في فتح القدس لعمه الملك الناصر صلاح الدين (يوسف) مع اشتراكهما في اللقب والفعل، **وهو معنى لطيف مليح:**(من السريع)

المسجد الأقصى له عادة سارت فصارت مثلا سائرا
إذا غدا بالكفر مستوطنا أن يبعث الله له ناصرا
فناصر طهره أولا وناصر طهره آخرا"[١]

ويظهرُ وجهُ اللطافة والملاحة في المعاني من خلال هذه الأبيات الثلاثة؛ حيث ركَّز ابن مطروح على اهتمام ملوك الدولة الأيوبية بالمسجد الأقصى، وتحريرهم إياه ـ دومًا ـ من سيطرة كل مستعمر أو غاصب، وقد أبدع الشاعر عندما كرَّر لفظتي (ناصر) و(طهَّره) مع اختلاف في المعنى والقصد.

ومنها: ما ذكره ابن واصل(٦٩٧هـ)عن جمال الدين بن عبد[٢]؛ حيث يقول: " وكان جمال الدين هذا قد اتصل بعد ذلك بالملك الصالح نجم الدين أيوب لما ملك مصر، واجتمعت به مرارًا عند الأمير حسام الدين بن أبى على ـ رحمه الله ـ وكنت سمعت أنه دخل يوما دار بعض الأكابر فأخرجه البرد دار[٣]، فقال: (من المتقارب)

مغن [و][٤] يخرج قبل الدخول وأقبح شيء خروج المغني [٥]

---

(١) مفرج الكروب:٥/ ٢٤٧، والسلوك لمعرفة دول الملوك، المقريزي، تح/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٩٩٧م، ١/ ٤٠٠، والروضتين في أخبار الدولتين،٣٣٨/٤. والأبيات ليست في ديوان ابن مطروح. ينظر: ديوان ابن مطروح، تح/ حسين نصار، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،٤ ٢٠٠م، (قافية الراء)، ١٢٧- ١٣٩.

(٢) كذا في مفرج الكروب، ١٩٤/٥، وأظنه: جمال الدين بن عبد الغني المذكور في مطالع البدور في منازل السرور، الغزولي، بدون، ٢٦/١.

(٣) وهو "الذي يكون في خدمة مباشري الدّيوان في الجملة متحدّثا على أعوانه والمتصرّفين فيه، كما في مقدّم الدولة والخاصّ المقدّم ذكرهما. وأصله (فردا دار) بفاء في أوله وهو مركّب من لفظين فارسيين: أحدهما فردا، ومعناه الستارة. والثاني دار، ومعناه ممسك، والمراد (ممسك السّتارة)، وكأنه في أوّل الوضع كان يقف بباب السّتارة ثم نقل إلى الديوان". صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، للقلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون، ٤٤٠/٥.

(٤) الأولى أن نقول: (ويخرج)؛ ليستقيم الوزن.

(٥) مفرج الكروب: ١٩٤/٥، والبيت في مطالع البدور ثالث أبيات ثلاثة، وروايته:

مغن ويخرج بعد الدخول وتأبى الطباع خروج المغني

ينظر: مطالع البدور في منازل السرور، ٢٦/١.

وهذا معنى ظريف، فأنشدني لأبي الحسين الجزار، شيئا يشبه هذا اللون، أنه أراد الدخول إلى بعض الأكابر فضربه البرد دار ومنعه من الدخول فقال:(من المتقارب)

أمولاي ما من طباعي الخروج ولكن تعلمته من خمولي

وقفت ببابك أبغي الغنى فأخرجني الضرب قبل الدخول[١]

فأعجبه وقال: إلا أنا؛ أخرجت وما ضربت"[٢].

ووجه الظرف في بيت جمال الدين بن عبد: التورية في كلمة (الخروج)، فالمعنى القريب: الخروج عكس الدخول، والبعيد: الخروج من مقام غنائي إلى آخر غير متناسق مع المقام الأصلي، وهو ما يسمى بالنشاز، كما مارس الجزار التورية في ثلاثة ألفاظ: (الغنى ـ أخرجني ـ الضرب).

ومنها: قصيدة لبهاء الدين زهير(٦٥٦هـ)، يمدح فيها السلطان الملك الكامل(٦٣٥هـ)، يقول في مطلعها:(من الطويل)

بك اهتزّ عطف الدين في حلل النصر وردّت على أعقابها ملّة الكفر[٣]

وبعد أن نقل كثيرًا من أبيات هذه القصيدة، نراه يؤكد على إصابة الشاعر للمعنى؛ من خلال حكمه علي معانيه باللطافة والابتكار؛ ليس فيها ـ فقط ـ بل في جل شعره، فيقول:" **قلت: لقد أبدع بهاء الدين زهير ـ رحمه الله ـ في هذه القصيدة، وأتى بكل معنى بديع لطيف، وكذا أكثر شعره رحمه الله**"[٤].

ولعلَّ هذه الأحكام الواصلية، تؤكد على ما أقره الدكتور/أحمد بدوي، في سياق حديثه عن (الابتكار والتقليد)، الذي هو أحد مقاييس النقد؛ حيث يقول عن:" موقف الإبداع: وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى المعروف، ولكن في أسلوب جديد، وعبارة لم يسبق إليها"[٥]، ثم استدلَّ على كلامه كلامه بقول ابن رشيق:" إذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه، أو استظراف لفظ وابتداعه، أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني، أو نقص مما أطاله سواه من الألفاظ، أو صرف معنى إلى وجه عن وجه آخر، كان اسم الشاعر عليه مجازًا لا حقيقة..."[٦].

بل وممَّا يثبت مراعاته لقضية (الابتكار والتقليد) إشارته النقدية الصائبة التي بيَّن ـ من خلالها ـ

---

(١) مفرج الكروب: ٥/ ١٩٥، وديوان الجزار، يحيى بن عبد العظيم، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٢م، ٦٨.

(٢) مفرج الكروب، ٥/١٩٤، ١٩٥ .

(٣) السابق، ٤/ ١٠٣، وديوان بهاء الدين زهير، دار بيروت، ودار صادر، بيروت، ١٩٦٤م، ١٢١.

(٤) مفرج الكروب، ٤/ ١٠٣، ١٠٤.

(٥) أسس النقد الأدبي عند العرب، ٣٨٣.

(٦) السابق، ٣٨٣، والعمدة، في محاسن الشعر وآدابه، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط/٥، ١٩٨١م، ١/ ١١٦.

درايته الكاملة بتطور المعاني والموضوعات الشعرية، و(النثرية)، ومعرفته بالمبتدعين والمقلدين لها؛ حيث يقول تعقيبًا على رسالة نثرية لضياء الدين بن الأثير(٦٣٧هـ) ـ وقد أورد فيها بعض الشعر ـ:" قلت: لقد أبدع ضياء الدين ـ رحمه الله ـ في هذا القول، وسلك في مزج التهنئة بالتعزية مسلك أبى نواس الحسن بن هانئ...، وسلك أبو نواس في ذلك مسلك أبى دلامة..."[١].

المحور الثاني ـ الجمع بين جودة اللفظ وإصابة المعنى:

فمن المختارات الشعرية الواصلية التي جمعت بين الإصابة في المعانى وابتداعها، وقوة وجزالة الألفاظ وملاءمتها، ما جاء في هذه المراسلة الشعرية بين أحد الكتَّاب، والخليفة العباسي الناصر لدين الله(٦٢٢هـ)؛ حيث يقول بعدما أمر الخليفة باعتقاله:(من الخفيف)

ألقنـــي فـــي لظـــى فـــإن غيرتنـــي فتـــيقّن أن لســـت باليـــاقوت
عـرف النّسـجَ كـلُّ مـن حـاك لكـن نســـج داود لـــيس كـــالعنكبوت[٢]

فكتب الخليفة في جوابها: (من الخفيف)

نســـج داود لـــم يفـــد صـــاحب الـ ـــغار وكـــان الفخـــار للعنكبـــوت
وبقـــاء الســـمند[٣] فـــي لهـــب الـــنـ ـــار مزيـــلٌ فضـــيلةَ اليـــاقوت[٤]

---

(١) ينظر: مفرج الكروب،٤/ ١٩٨ـ ٢٠٠. وقيل: إن أول من جمع بين التهنئة والتعزية هو: عطاء بن أبي صيفي الثقفي. ينظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، الزمخشري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ٢٤٩/٤. وقيل هو: عبيد الله بن همام السلولي. ينظر: العمدة،١٥٥/٢.

(٢) ينظر: مفرج الكروب، ٤/ ١٦٨، ١٦٩.

(٣) طائر أَو دُوَيْبّة، وَيُقَال فِيهِ: سَمَنْدَر، وسَمَنْدَل، وسميدر. والسمندل: هو طائر يأكل البيش، وهو نبت بأرض الصين يؤكل وهو أخضر بتلك البلاد، فإذا يبس كان قوتا لهم ولم يضرهم، كما أنه إذا بعد عن الصين، ولو مائة ذراع وأكله مات من ساعته، ومن عجيب أمره استلذاذه بالنار ومكثه فيها، وإذا اتسخ جلده لا يغسل إلا بالنار وكثيرا ما يوجد بالهند، وهي دابة دون الثعلب خلنجية اللون حمراء العين ذات ذنب طويل، ينسج من وبرها مناديل، إذا اتسخت ألقيت في النار فتتصلح ولا تحترق... ينظر: حياة الحيوان الكبرى،٤٥/٢، ٤٦، وتاج العروس:٢١٥/٨.

(٤) ينظر: مفرج الكروب، ٤/ ١٦٨، ١٦٩. وعن توثيق هذه المراسلة الشعرية، قال الدميري: " ذكر ابن خلكان، في ترجمة يعقوب بن صابر المنجنيقي، أنه وقف بالقاهرة على كراريس من شعره، ورأى فيها البيتين المشهورين المنسوبين إلى جماعة من الشعراء ولا يعرف قائلهما على الحقيقة وهما:

ألقنـــي فـــي لظـــى فـــإن أحرقتنـــي فتيقن أن لست باليـاقوت
جمـــع النســـج كـــلّ مـــن حـــاك لكـــن لـــــيس داود فيـــــه كـــــالعنكبوت

قال: فعمل يعقوب بن صابر في جوابهما هذه الأبيات:

أيهـــا المـــدعي الفخـــار دع الفخـــ ـــر لـــذي الكبريـــاء والجبـــروت

ثم حكم ابن واصل(٦٩٧هـ) على هذه الأبيات بقوله: "**وهذا جواب فائق، وشعر مفلق، ومعنى بديع**"(١).

يلاحظ أن ابن واصل قد وُفِّق في حكمه أيَّما توفيق؛ حيث ركَّز على إصابة الخليفة الناصر معانيه إصابة بالغة، فضلًا عن قوة ألفاظه، مثل: (الفخار، السمند، الياقوت، نسج، لهب) التي خرجت فيها المعاني في أبدع وأحسن صورة، والأبيات فيها "إشارة إلى مهاجرة النبي ﷺ معه أبو بكر الصديق ﷺ فإنهما خافا من مشركي مكة أن يتبعوهما فدخلا غار ثور... ونسج العنكبوت في الحال على باب الغار، فلما وصل المشركون إليه ورأوا أثر العنكبوت على الباب قالوا: ليس ها هنا أحد؛ فإنه لو دخله أحد ما كان العنكبوت نسج عليه في الحال؛ لأن المشركين بادروا إليهما ليلحقوهما، فأخفى الله سبحانه وتعالى أمرهما، وهي من جملة معجزات النبيﷺ "(٢).

ومنها: ذلك الذي ذكره عن الملك الناصر داود(٦٥٦هـ)؛ حيث يقول:" ولما اشتدَّ عليه الأمر وضاق خناقه، عمل قصيدة **بليغة رائقة السبك، حسنة المعاني، جزلة الألفاظ، وهى من قلائد شعره** ، يعاتب فيها ابن عمه الملك الصالح نجم الدين أيوب(٦٤٧هـ)، وذكر فيها ما له من اليد عنده، وما أولاه من الجميل في خدمته، وذبِّه عنه، ودفع أعدائه عنه، حين قصدوا أخذه منه ليريقوا دمه، ثم إخراجه وتمليكه الديار المصرية، وأنه لم يجازه على فعله هذا، وقطع رحمه، والقصيدة هي هذه:(من الكامل)

قولوا لمن قاسمته ملك اليد ونهضت فيه نهضة المستأسد
واقعت فيه كل أصيد من ذوى رحمى عريق في العلاء مسوّد
لا قيتهم بسنان كلّ مثقف صدق الكعوب وحد كلّ مهند..."(٣)

يلاحظ أن ابن واصل لم يقف عند الحكم بالحسن والإجادة على القصيدة كَكُل، وإنمَّا حكم

نسج داود لم يفد ليلة الغا ر وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند في لهب النا ر مزيلٌ فضيلةَ الياقوت
وكذاك النعام يلتقم الجمر وما الجمر للنعام بقوت

ينظر: حياة الحيوان الكبرى، الدميري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٢، ١٤٢٤هـ، ٢٢٧/٢، ووفيات الأعيان، ٤١/٧، ويلحظ قول ابن خلكان في ابن صابر هذا:" وكانت له منزلة لطيفة عند الإمام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد خليفة العصر ذلك الوقت". السابق، ٣٧/٧، فلعلَّ ابن صابر المنجنيقي هذا هو الذي ردَّ على الكاتب المذكور لما بعث إلى الخليفة الناصر بيتيه.

(١) مفرج الكروب، ٤/ ١٦٩.

(٢) وفيات الأعيان، ٤٣/٧.

(٣) مفرج الكروب، ٣٦٤/٥ ـ ٣٦٨، والقصيدة في: ذيل مرآة الزمان، اليونيني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط/٢، ١٩٩٢م، ١/ ١٦١، وديوان الملك الناصر، تح/ جودة أمين، دار الهاني، ١٩٩٠م، ١١٢ـ ١١٦.

على البناء الفني للقصيدة في سياق نقد الأسلوب؛ فإصابة المعنى تتجلى في حكمه على معاني الملك الناصر داود بالحسن؛ وحقًا فقد جاءت معاني العتاب في هذه القصيدة مشعرة بمدى المرارة والحزن، بعدما تغير عليه ابن عمه الصالح أيوب(٦٤٧هـ)؛ مع أنه أولاه عناية خاصة، بل فضَّله عن بقية الناس ـ لاسيما ـ أقاربه!

كما حكم ابن واصل على أسلوب القصيدة بقوله: (بليغة رائقة السبك)، الذي يشعر المتلقي بترابط الكلمات والجمل والتراكيب؛ حيث جاءت مسبوكة أو محبوكة دلاليًا ولغويًا، ونستطيع أن نلمس ذلك من خلال مفردات وتراكيب القصيدة؛ حيث دقة الألفاظ وجزالتها، مع إصابة المعاني؛ ولا شكَّ في أن هذه الأحكام تصُبُّ في مقياس التلاؤم بين اللفظ والمعنى، ويدلُّ على ذلك ألفاظه الدقيقة مثل:(المستأسد، رحمى، عريق، مثقف، الكعوب، مهند)، وعباراته الموحية من مثل قوله:(قاسمته ملك اليد)، وقوله: (واقعت فيه كل أصيد) ...، حتى صارت هذه القصيدة من الأشعار النفيسة!

ولا غرو، فقد عدَّ الدكتور أحمد بدوي، القوة، والتلاؤم بين اللفظ والمعنى، من مقاييس نقد الأسلوب، فالقوة ـ عنده ـ تنشأ في الأسلوب من أمور عدة، منها: استخدام الخيال، ومنها استخدام الكلمات الطريفة، ومنها أن ينهج الشاعر في تكوين أسلوبه هذا النهج الذي فصِّلت قواعده فيما يسمى اليوم بعلم المعاني[١]، والتلاؤم بين اللفظ والمعنى ـ عنده ـ يكمن في حسن مقدرة الشاعر على أن ينقل الفكرة إلى القارئ والسامع، وعلى هذا يكون من حسن الملاءمة بين اللفظ والمعنى، أن تكون الكلمة دقيقة موحية، لينة في موضع اللين، خشنة في موضع الخشونة[٢]، وهذا ما يمكن أن نسميه (السبك)، الذي حكم ابن واصل برقته في قصيدة الملك الناصر داود.

ومنها: حكمه على قصيدة (قافية) لبهاء الدين زهير(٦٥٦هـ) في مدح الملك الصالح(٦٤٧هـ)؛ حيث يقول:" وهي في غاية الحسن... فانظر إلى هذا النظم ما أبدعه وأبرعه، وما احتوى عليه من المعاني اللطيفة، وبراءته من الحشو والتكلف، والحوشي من اللغة، وما أشد لصوقه بالأسماع والقلوب"[٣].

والذي يتأمل هذه القصيدة، ونقد ابن واصل لها، يجد أنها ما هي إلا تطبيقٌ حيٌّ لما أصل له الآمدي ـ كما ذكرنا آنفا ـ عندما تحدث عن إصابة المعاني، وإدراك الغرض منها بألفاظ سهلة عذبة، فالألفاظ في القصيدة ليس فيها حوشية أو غرابة أو تكلف أو تطويل يدعو إلى السأم أو

---

(١) أسس النقد الأدبي، ٤٧٤، ٤٧٥.

(٢) السابق، ٤٧٨.

(٣) ينظر: مفرج الكروب، ٦/٩٢ـ ٩٤. والقصيدة كاملة في ديوان بهاء الدين زهير، ٢٢٤ـ ٢٢٧.

إجحاف لا يصل بالمتلقي إلى الغاية من وراء هذا الشعر، يضاف إلى ذلك اتفاق المعاني البديعة واللطيفة التي تُظهر الشاعر في أعلى درجات البراعة والتمكن؛ ممَّا يصل به في النهاية إلى امتلاك زمام الأسماع، وملامسة القلوب والأرواح.

وتجدرُ الإشارة إلى أن أحكام ابن واصل النقدية قد طالت عنصر (الوزن والقافية)، الذي هو أحد عناصر جمال الأسلوب الأدبي ـ كما قال الشايب ـ؛ حيث اختار ـ على غرار القصيدة القافيَّة السابقة ـ شعرًا لابن عنين(٦٣٠هـ)، متعلقًا بتذوقه قصيدة لخفة رويِّها[١] وبلوغها الغاية في الحسن، حيث يقول:" **والقصيدة الرائية التي مدح بها السلطان الملك العادل في غاية الحسن** قد ذكرنا بعضها، وذكر في آخرها تغرُّبَهُ، وشكر الحوادث التي أوصلته إلى جناب الملك العادل، وهو:(من الكامل)

أشكو إليك نوىً تمادى عمرها حتى حسبت اليوم منها أشهرا
لا عيشتي تصفو، ولا رسم الهوى يعفو، ولا جفنى يخالطه الكرى
أُضحى عن الأحوى المريع محلّأً وأبيت عن ورد النمير منفّرا
ومن العجائب أن يقيّل ظلكم كل الورى ونُبِذْتُ وحدى بالعرا
ولقد سمئت من القريض ونظمه ما حاجتي ببضاعة لا تشترى" [٢]

وقد وُفِّق ابن واصل في حكمه بالحسن على هذه القصيدة، فمن عناصر الحسن في أسلوبها: (القافية) ـ لا سيما ـ حرف الروي(الراء)، ذلكم الحرف الذي شبهه الأستاذ/ حسن عباس، بمفاصل الجسد بل عده حرفًا مهمًا في لغتنا العربية، فلو كان فقد لفقدت لغتنا الكثير من مرونتها وحيويتها وقدرتها الحركية، ولفقدت بالتالي الكثير من رشاقتها ومن مقومات ذوقها الأدبي الرفيع[٣]، وما أحسن تناسب صفة التكرار في هذا الحرف، مع تكرار الأسى أيامًا وليالي، لا يخالط جفنه فيها الكرى، فاليوم يمر عليه شهورًا، إضافة إلى ألف الإطلاق[٤] التي يطلق معها نفثات صدره المحزونة!

وإذا كان النقاد القدامى قد أكثروا من إصدار الأحكام العامة على الشعراء، فنظروا إلى نتاج الشاعر بأسره، ودرسوا الخصائص المقتبسة مما أنتجه في النواحي المختلفة، وصاغوها في أحكام

---

(١) وهو: " الحرف الذي تبنى عليه القصيدة، وتنسب إليه، فيقال قصيدة ميمية إذا كان رويّها الميم، ويقال: قصيدة عينية إذا كان رويها العين..." معجم مصطلحات العروض، محي الدين مينو، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة،٢٠١٤م، ١٣٨.

(٢) مفرج الكروب، ٤٧/٥، والأبيات في ديوان ابن عنين، ٨ من الديوان.

(٣) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م، ٨٤.

(٤) وهو: "حرف العلة الذي ينشأ في النطق عند مد حركة الروي". معجم مصطلحات العروض،٢٠٣.

مبنية على نظرة شاملة مستوعبة، فإنهم قد تجاوزوا هذه الأحكام على الشعراء، إلى الموازنة بين شعر بعضهم وبعض، وإلى الموازنة بينهم فيما اتفقوا فيه من أغراض، وفي أساليبهم؛ ليقدموا شاعرًا على شاعر بعامة، أو يفضلوا قصيدة على أخرى(١).

لكنَّهم كانوا في إقامتهم للموازنات يعتمدون" على ثقافة القارئ، وذكائه، فما كانوا يشرحون وجه فضيلة الكلام شرحًا وافيًا، عندما يفضلون شعرًا على آخر، وإنما يقفون ـ فحسب ـ عند الحكم بالتفضيل"(٢).

فمِمَّا يدلُّ على تجاوز النقاد القدامى الأحكام العامة(٣) إلى الحديث عن التفضيل بين القصائد والشعراء، ما وجدناه في حديث ابن واصل عن غير شاعر في فن (المعارضات)(٤) الشعرية، بل تجده يفاضل بين قصائد هؤلاء الشعراء، ويرجح كفة أحدهم على الباقين، دون أن يشرح شرحًا وافيًا وجه التفضيل.

ومن ذلك ما أورده عن المراثي التي قيلت في عزاء والدة الملك المظفر(٦٤٢هـ) ملكة خاتون(٦١٦هـ)، زوجة الملك المنصور(٦١٧هـ)، الذي اقترح أن "تنظم المراثي على وزن قصيدة أبى العلاء المعرى ورويها التي مطلعها:(من البسيط)

يا ساهر البرق أيقظ راقد السّمر لعل بالجزع أعوانا على السّهر(٥)

فعمل جماعة من الشعراء قصائد على هذا الوزن والروى، وأجود قصيدة عملت قصيدة حسام الدين خُشترين بن تليل... والقصيدة مطلعها:(من البسيط)

الطرف في لجة والقلب في سعر له دخان زفير طار بالشرر
ظللت ما بين إنكار ومعرفة أقلب الطرف بين الخُبْر والخَبَر
حتى رأيت نجوما أطلعت شفقا على شموس وجوه في دجى شَعَر"(٦)

يلاحظ من خلال النص السابق، عدة أمور لعل من أهمها: أن من أعظم مميزات منهج ابن

---

(١) أسس النقد الأدبي، ٥٣٩، ٥٤٠.
(٢) السابق، ٥٤٣.
(٣) ومنها: ما حكم به ابن واصل ـ غير ما ذُكِرَ ـ بالحسن على شعر المستنجد بالله، والمقتفي لأمر الله، والملك المظفر، وأخيه عز الدين فرخشاه، والأمير صلاح الدين بن شعبان الإربلي، والملك الناصر داود، . ينظر: مفرج الكروب، ١٣٢/١، ١٩٥، ٢٣٧/٢، ١٦٤/٥، ٢٢٤/٦ ـ ٢٣١.
(٤) وهي:" أن يحاكي الأديب في أثره الأدبي أثر أديب آخر محاكاة دقيقة تدل على براعته ومهارته ". معجم المصطلحات العربية، ٣٧١.
(٥) سقط الزند، أبو العلاء المعري، دار بيروت، ودار صادر، لبنان، ١٩٥٧م، ٥٦.
(٦) مفرج الكروب، ٦٥/٤، ٦٦.

واصل في كتابه، ميزة السماع والمعاصرة[١]، فهو يشير من خلال النص السابق إلى حضوره مجالس الأدب منذ نعومة أظفاره؛ مما يدل على سعة الثقافة، وتفتُّق الموهبة، والذائقة النقدية التي جعلته يفاضل بين القصائد التي قيلت في هذا الحدث، ثم يحكم على قصيدة حسام الدين بالجودة دون غيرها من القصائد، فضلًا عن تفرده بهذه الأبيات، فصار كل من جاء بعده يعتمد على كتابه في نقلها.

وفي باب المعارضات ـ أيضًا ـ ما حكم به على قصيدة للملك الناصر داود(٦٥٦هـ) في الخليفة المستنصر(٦٤٠هـ) التي" يعرِّض فيها بقصده [يعني: أن يأذن له الخليفة بالحضور بين يديه، ويقبل يده، ويشاهد صورته]، ويذكر مهاجرته إلى الأبواب العزيزة العالية مرتكبًا متن الخطر مع بعد المسافة، ويعرض فيها بأن مظفر الدين بن زين الدين [كوكبوري][٢] وصل من مسافة

---

(١) ومما يؤكد ـ أيضا ـ على سماعه المباشر، ومعرفته بالمعارضات الشعرية، ما ذكره عند تسليم الملك الكامل(٦٣٥هـ) القدس للفرنج، وتشنيع الملك الناصر(٦٥٦هـ) عليه؛ حيث دعا ابن سبط الجوزي الواعظ (٥٩٧هـ) للجلوس بين الناس لينفرهم من فعلة عمه، حيث يقول: "**ومما سمعته يومئذ يورد قصيدة تائية وازن بها قصيدة دعبل بن علي الخزاعي، وضمنها** بيتا من القصيدة وهو:(من الطويل)

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات

وعلق بذهني منها بيت واحد وهو:(من الطويل)

على قبة المعراج والصخرة التي تفاخر ما في الأرض من صخرات

فلم يُرَ في ذلك اليوم إلا باك أو باكية". مفرج الكروب في أخبار بني أيوب: ٤/٢٤٥، ٢٤٦، وشعر دعبل الخزاعي، تح/ د. عبد الكريم الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط/٢، ١٩٨٣م، ٧٨، والسلوك لمعرفة دول الملوك، ١/ ٣٥٥، ٣٥٦، وقد ذكر المقريزي أن هذه القصيدة ثلاثمائة بيت؛ لكنه لم يذكر منها إلا هذين البيتين؛ والذي يظهر لي أنه لم يكن صاحب موهبة نقدية وشعرية تمكنه من معرفة قضايا الأدب، كابن واصل الذي نبَّه على معارضة ابن سبط الجوزي لقصيدة دعبل الخزاعي، وتضمينه للبيت المشهور(مدارس آيات...).

كما سمع ـ أيضا ـ من الأمير مجير الدين إبراهيم بن أبي بكر(٦٥٨هـ)، وهو بالديار المصرية، مقطعات حسنة، ومنها ما قال في معناه إنه معنى لطيف:(من الكامل)

دنفٌ نأى عن من يحب فشاقه أطلاله سحرًا على أطلاله

سأل الحمى عنه وأصغى للصدى كيما يجيب فقال مثل مقاله

ناداه أين ترى محطّ رحاله؟ فأجاب أين ترى محطّ رحاله

ينظر: مفرج الكروب، ٦/٢٧١، وذيل مرآة الزمان، ٢/٩.

(٢) الملك المعظم: أبو سعيد كوكبوري بن أبي الحسن علي بن بكتكين بن محمد ، ملك إربل وبلادا كثيرة في تلك النواحي، وفرقها على أولاد أتابك قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل ولم يبق له سوى إربل، عمر طويلا وتوفي في سنة(٥٦٣هـ). ينظر: وفيات الأعيان، ٤/١١٣، ١١٤.

قريبة، وليس هو مثله في أصالته وبيته، وأنه شرف بهذا الأمر الجليل، ويعرض بأنه أحق من مظفر الدين بذلك، **والقصيدة في غاية الحسن، وازن**[١] **بها قصيدة أبى تمام** التي منها يقول:(من الطويل)

لأمـــر عليـــهم أن تـــتم صـــدوره ولـــيس علـــيهم أن تـــتمّ عواقبـــه[٢]

والقصيدة هي هذه:(من الطويل)

ودانٍ ألمَّـــتْ بالكثيـــب ذوائبُـــهُ وجـنح الـدجى وحـف تجـول غياهبـه

تقهقـــه فـــي تلـــك الربـــوع رعـــوده وتبكـى علـى تلـك الطلـول سـحائبه..."[٣]

يلاحظ أن ابن واصل، ركَّز على جانب الموضوع الشعري، ثم أخذ يشير ـ دون إطالة ـ كيف أصاب الملك الناصر داود، المعاني التي ضمنها قصيدته! حيث إنها جاءت في العتاب والتودد للخليفة المستنصر بالله العباسي، والتعريض بمظفر الدين كوكبوري؛ فالناصر يرى أن ودَّه متكلف، وحبه مزيف، ليس كحب رُكِب من أجله المخاطر والصعاب، فضلًا عن إشارته إلى شرف بيته، وعراقة أصله.

وبعد... فهذه الآراء الواصلية ـ التي سبق ذكرها ـ ما نُصَّ عليها مستوية على سوقها، إلا بعد دُربة طويلة، ومعالجة متأنية لفهم النصوص الأدبية، وموهبة شعرية، وذائقة نقدية[٤]، مكَّنتهُ من

---

(١) استخدمها ابن واصل بمعنى: (عارض).

(٢) شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي، تح/ راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/٢، ١٩٩٤م، ١/١٢٢.

(٣) مفرج الكروب، ٥/ ١٠٢ـ ١٠٦، وبغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، تح/ د. سهيل زكار، دار الفكر، بدون، ٧/ ٣٤٥٦، و ديوان الملك الناصر داود، ٨٣ ـ ٨٧.

(٤) فمِمَّا يدلُّ على شاعريته، قوله في سنة إحدى وأربعين وستمائة: "ونظمت وأنا بحلب أبياتا، ذكرت فيها المنازل بين بغداد وحماة، وهى:(من الطويل)

طواهـــا ســـراها حـــين طـــال ســـفارهاn وأنحلهـــــا تهجيرهـــــا وابتكارهـــــا

وأتبعهـــا جـــذب البـــرى وأذابهـــا اشـــ تيـــاق إلـــى أرض بعيـــد مزارهـــا

....

مفرج الكروب، ٥/ ٣٢٥، ٣٢٦. وممَّا يدل ـ أيضا ـ على ذائقته الأدبية والنقدية، ومعالجته للعلوم المختلفة غير الشعر، ما ذكره تعليقًا على شعر الصاحب بهاء الدين زهير في ابن الملطي؛ حيث يقول: (من الكامل)

"يـــا منســـك المعـــروف أحـــرم منطقـــي زمنـــاً وقـــد لبَّـــاك مـــن ميقاتـــه

هـــذا زُهيـــركَ لا زهيـــر مزينـــة وافـــاك لا هرمـــاً علـــى علاتـــه

دعْـــه وحولياتـــه ثـــم اســـتمعْ لزهيـــر عصـــرك حســـن ليليَّاتـــه

الوقوف على جيد الشعر ومستحسنه، وجعلته يختار ويميِّز ويُفاضل بين الأشعار المختلفة.

الأمر الذي يجعلنا نقضي بأن ابن واصل، كان مالكًا زمام الاختيار، فقد لمسنا أنه قد وجد نفسه في شعر غيره؛ إذ إن رضاه وحكمه على ما قرأه واختاره؛ هو في الحقيقة ناشئٌ من أنه وجد ما يحبه ويميل إليه...كالذي يحب الشعر الحماسي ـ مثلا ـ فإنه يعجب به ويريد أن يحمل الناس على الإعجاب به؛ لأن له ذوقًا خاصًا في فهم هذا النوع، وإقدار هذا الكلام قدره، وكالخلقي يحب الحكمة والموعظة، فيحكم بهذا الذوق على كل ما يقرأ ويسمع... [١] .

لكن جُلَّ آراء ابن واصل النقدية(٦٩٧هـ) ـ كما تبين ـ وقفت عند حدِّ الانطباعية (الذوقية أو الذاتية)، ولعلَّ هذا هو ما أشار إليه المرزوقي(٤٢١هـ) في سياق حديثه عن صاحب الطبع الذي يملك زمام الاختيار؛ حيث يقول:" ومعلوم أن طبع كل امرئ ـ إذا ملك زمام الاختيار ـ يجذبه إلى ما يستلذه ويهواه، ويصرفه عما ينفر منه ولا يرضاه... "[٢] .

لـــو أنشـــدتْ فـــي آل جفنـــة أضـــربوا عـــن ذكـــر حســـان وعـــن جفناتـــه

وهذا شعر في غاية الحسن، لكنه لا يصل فهمه إلى من ليس له ممارسة لعلم الأخبار. فلنشر إلى شرحه على سبيل الاختصار...". مفرج الكروب، ٦/٢٣٩، ٢٤٠، وينظر: ذيل مرآة الزمان، ١/١٨٨، والقصيدة كاملة في ديوان بهاء الدين زهير،٤٩ ـ ٥١.

(١) مقدمة في دراسة بلاغة العرب، أحمد ضيف، مطبعة السفور، مصر، ١٩٢١م، ٩٢، ٩٣.

(٢) شرح ديوان الحماسة، المرزوقي، ١/٨.

المبحث الثاني

الصـــدق

تظلُّ البطولة الإسلامية بنماذجها المتفردة والمتجددة، وقضية الدين التي تُزكي العاطفة الصادقة، من أهم مصادر الإلهام لدى الشعراء الذين امتطوا صهوة غرض المدح على مر العصور الإسلامية ـ لاسيما ـ العصر الأيوبي الذي آمن فيه الشعراء بنفس الفكرة التي نَشَدَها مؤسسو الدولة ـ ومَن بعدَهم ـ وهي ضرورة التخلص من الحكم الشيعي، والعودة إلى الحكم السني ومذهبه الرشيد، كما آمنوا بقضية تحرير بيت المقدس من الغزاة الصليبين، ثم التمكين لآل أيوب على جميع الأصعدة والاتجاهات.

ويُعَدُّ المدح تحت تأثير هذه المعاني والأفكار، بعيدًا كل البعد عن الكذب أو الغلو الذي يقوده التكسب في بعض صوره وأشكاله، بل تتضح الصورة ـ شيئا ما ـ عندما نجد كاتبًا كالدكتور/ محمد كامل حسين، يركز على أن شعر القومية الإسلامية كان موجودًا في العصر الأيوبي قبل العصر الحديث؛ حيث يقول:" ومما لا شكَّ فيه أن هذه الحروب التي خاضها صلاح الدين ـ ولا سيما حروبه مع الصليبين ـ قد ألهبت حماسة المسلمين في جميع الأقطار، وأيقظت شعورهم بعد رقدته عدة قرون، وأوجدت بينهم ما يستطيع أن نطلق عليه الاصطلاح الحديث: الشعور بالقومية الإسلامية... "[١].

ولا شكَّ في أن مضامين هذا الموضوع الشعري تمتح من فن المديح ـ وغيره ـ من حيث ألفاظه ومعانيه، وصوره الرائقة.

كما أكَّد ـ في موطن آخر ـ على قضية الصدق والحقيقة في الشعر الأيوبي التي قد تفوق شعر التكسب الذي تحركه الرغبة في النوال والعطايا؛ أو على الأقل تكون اتجاهًا أو مسارًا يسلكه الشعراء بجانب اتجاه التكسب؛ حيث يقول:" وهكذا كانت حروب صلاح الدين مثارًا لشعر الشعراء الذين لم يمدحوا صلاح الدين طلبا في النوال فحسب، وإنما مدحوه لهذه الناحية الدينية التي طغت على كل المسلمين وكانت تعبيرًا صادقًا عن شعورهم بضرورة الوحدة الإسلامية..." [٢].

ومن الباحثين الذين تأثروا بفكرة القومية الإسلامية غير الدكتور/ محمد كامل حسين، الأستاذ/ محمود مصطفى، عندما ذكر من بين أسباب انتعاش الشعر، ورواج سوقه في العصر الأيوبي ـ سببًا " دينيًا وسياسيًا، تثيره العصبية للدين والوطن، وتؤرث ناره تلك الضغينة على الصليبيين... فكان الأمير الذي يقوم بالذياد عن هذا الحمى، ويدفع هذه الغوائل عن الوطن وأهله محبوبًا مفدى بالنفوس، تستأسر له القلوب، وتجتمع على ولائه، وقد كان هذا حال صلاح الدين وسلاطين دولته من بعده. كان الناس يفرحون ويتباشرون بالانتصار يحرزه الأيوبي على الصليبين؛ لأنه انتصار

---

(١) دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين، د. محمد كامل حسين، مؤسسة هنداوي، بدون، ٨٤.
(٢) السابق:٩٣.

على الشرك، وحماية للوطن، وذود عن أهله"[١].

وهذا ما يمكن أن نسميه تلاقي الذوق الفردي مع الذوق الجمعي الذي ينطلق منه كل من الأديب والناقد، أو (القائل والمتلقي)، فقد يستكمل الأثر الفني كل مقومات الجمالية والعاطفة الصادقة، مع أنه أنشئ استجابة لمراسيم عامة، أو أنشد في مناسبة مشهودة، بل يتواصل الإعجاب به عند المتذوقين في الجمع الحافل، وإذا خلوا إلى أنفسهم، والباعث في ذلك هو أن الشاعر الذي أبدعه قد حقق وجوده الذاتي بالتعبير عنه، فصلح للموقف العام صلاحه للتعبير الخاص، أو أنه التقى بالجماعة في تجربة إنسانية عظيمة ...، ومثل هذه الآثار يكتب لها البقاء والخلود، مع أنها كانت تحكي عاطفة قومية في حكايتها لعاطفة فردية؛ لأن الفرد من جماعة أخرى، يرى فيها مجرد ولائه للمجموع، لا لجماعة الشاعر المحيطة به فحسب، أو لأنه يرى فيها نزوعه إلى الدفاع عن الحق أو تشبُّثه بالمُثُل، والشواهد على ذلك كثيرة ـ كما سنبيّن ـ وعلى رأسها شعر الملاحم، والوقائع، والدعوة إلى السلم والفداء، ولا يكون الإعجاب عن مجرد التغني بمحمدة أو فضيلة قومية أو إنسانية، وإنما يكون عن تحقيق الوجود الفردي الذي يلتقي بالوجود الجمعي، أيا كان في صدق وشمول وعمق[٢].

وعندما نُنعِمُ النظر في تراث العرب النقدي، يطالعنا قدامة بن جعفر بإبداعه، وذلك عندما حصر الصفات العظمى التي يجب أن يسير عليها الشعراء في مدحهم، والتي هي متفق عليها عند ذوي العقول والبصائر، وهي: العقل، والشجاعة، والعدل، والعفة؛ حيث جعل القاصد لمدح الرجال بها مصيبًا، والمادح بغيرها مخطئًا؛ ثم جوَّز الإغراق في صفة منها دون بقيتها، لكن الشاعر حين ذلك يكون مقصرًا، أما الكمال والتجويد فيكون للَّذي أحاط بها في شعره[٣].

ويتأثر ابن رشيق بقدامة، عندما نقل تفصيله لهذه الخصال الأربع، وما يندرج تحتها من أقسام، وما يتركب من بعضها مع بعض؛ حيث جعل ـ على سبيل المثال ـ الحماية، والأخذ بالثأر، والدفع عن الجار، والنكاية في العدو، وقتل الأقران، والمهابة، والسير في المهامه والقفار الموحشة، وما شاكل هذا، من أقسام صفة (الشجاعة)؛ ثم ذكر المعاني التي تنتج عن تركيب (الشجاعة مع السخاء)، فكان الإتلاف، والإخلاف وما جانس ذلك؛ وعن تركيب الشجاعة مع العفة، إنكار الفواحش، والغيرة على الحرم[٤].

هذا... وقد وقف النقاد القدامى حيال قضية التكسب بالشعر ما بين مؤيد ومعارض، فمنهم من رأى

---

(١) الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأيوبي، محمود مصطفى، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م، ٢٧٥، ٢٧٦.

(٢) ينظر: الأسس الفنية للنقد الأدبي، د. عبد الحميد يونس، دار المعرفة، القاهرة، ط/٣، ١٩٧٩م، ١٤٣.

(٣) ينظر: نقد الشعر: قدامة بن جعفر، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط/ ١، ١٣٠٢هـ، ٢٠.

(٤) ينظر: العمدة، ٢/ ١٣٢، ونقد الشعر،٢١، ٢٢.

أنها تدفع الشاعر إلى إراقة ماء الوجه، ولا شكَّ في أن الذي يريق ماء وجهه لا يستبعد منه أي شيء؛ حتى ولو قال الكذب لكي يحصل على بغيته، وكان على رأس هذه الوجهة التي لا تحب للشاعر أن يريق ماء وجهه، الجاحظ(٢٥٥هـ)، وابن قتيبة(٢٧٦هـ)، وابن رشيق(٤٥٦هـ)، أما أصحاب الوجهة الأخرى، وعلى رأسهم أبو هلال العسكري(٣٩٥هـ)، وابن الأثير(٦٣٧هـ)، فلا يرون بأسًا من أن يركب الشاعر مركب التكسب، حتي يصل إلى ما يريد من العطايا والجوائز، بل هناك من يرى هذا مشجعًا يدفع إلى الإبداع والمنافسة، متخذين حجتهم من موقف سيدنا محمد ﷺ مع كعب بن زهير ﷺ (نحو٢٤هـ) وموقف سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ(٢٣هـ) الذي كان عالمًا بالشعر، وعمر بن عبد العزيز ﷺ(١٠١هـ) الذي كان يجيز الشعراء على قولهم الشعر[١].

- **المحور الأول ـ الصدق في اختيارات ابن واصل:**

الناظر في اختيارات ابن واصل الشعرية، يتراءى له مدى دقته في اختيار مدائح الشعراء الأيوبيين التي يتجلى فيها الصدق بأقسامه:(الأخلاقي، والفني، والتاريخي)[٢]؛ حيث النظم في ثوب الحقيقة والدليل الذي يؤيده العقل ـ لاسيما ـ وأن هذه المدائح ترتبط بوقائع وأحداث ورموز مؤثرة في تاريخ الأمة الإسلامية، وإن وجد بعض الغلو، فسيكون ـ في أغلبه ـ من النوع المقبول الذي يزيد في جمال الشعر وروعته، وقد آثرت أن تكون ضفاف هذا البحث وحدوده من خلال كتاب: (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب)، لا من خلال دواوين الشعراء؛ لأن ابن واصل(٦٩٧هـ) قد أجاد أيُّما إجادة في التدليل على الأحداث والوقائع التاريخية من خلال اختياراته لكثير من مدائح الشعراء المجيدين، وهذا ـ لا شكَّ ـ يُنبئ عن مؤرخ كان على وعي تام بأن الشعر يستطيع أن يؤرخ ويضع ملامح العصور والأزمان والشخصيات، مثله في ذلك مثل كتب التاريخ تمامًا بتمام.

يعد كتاب: (مفرج الكروب) من أعظم الكتب التي تحفل" بمدائح الشعراء التي تصور الأحداث،

---

(١) ينظر: ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم : رائد عبد الرحيم، مجلة جامعة الأزهر، غزة، سلسلة العلوم الإنسانية، ٢٠١٠م، م١٢، ع١، ٤٢٦– ٤٤٩.

(٢) فالشعر يرتبط بالصدق في أكثر من ناحية: الصدق في التشبيه، والصدق في الشاعر، والصدق في القصيدة، فإذا كان التناسب هو السر الأول من أسرار الجمال في القصيدة، فإن الصدق ـ أيضا ـ صنو للتناسب الجمالي فيها، ثم إن التناسب عمل ذهني يعرض على العقل ليقبله أو يحكم فيه، والعقل لا يطمئن إلا إلى الصدق وهو يستوحش من الكلام الجائر الباطل؛ والصدق ـ أيضًا ـ يعني السلامة من الخطأ في اللفظ والتركيب والمعنى، وهذه أمور لابد أن تتحقق في القصيدة، كذلك على الشاعر أن يكون صادقاً عن ذات نفسه وهو يكشف عما يختلج فيها، ويكون صادقاً في تجربته، صادقاً بالمعنى التاريخي حين يقص خبراً، صادقاً على مستوى أخلاقي، فلا ينسب الجبن للشجاع ولا يسمي الكريم بخيلاً. ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط/٤، ١٩٨٣م، ٢٨، ٢٩.

وتنقلها إلينا نقلًا أدبيًا يعدل ما تنقله وسائل الإعلام الحديثة من صحف ومجلات مقروءة، وإذاعات مسموعة، وقنوات مرئية، وهذا النقل يجعلنا نحسُّ أن الشعراء اضطلعوا بواجب قومي ديني ذي خطر، وهو تصوير الأحداث بعين الشعر وألوانه، وتأريخها بلسانه وبيانه، وتحويلها من أسماء قادة ومدن ومعارك، وأرقام قتلى وجرحى وأسرى إلى ملحمة قومية دينية أدبية تبني النفوس، وتربي الناشئة على أكرم ما نريد أن نربي به أبناءنا وحفدتنا"[١].

وتأسيسًا على ما سبق، نكشف في السطور القادمة، كيف كان الصدق، معيارًا للاختيار الشعري عند ابن واصل(٦٩٧هـ)؟! لا سيما وأن الصحة والخطأ، والصدق والكذب، والمثالية والواقعية، تعدُّ من المقاييس النقدية التي يحكم بها على جودة المعنى، والأسلوب الشعري[٢]، فالشعر يكون صادقًا إذا اتفقت أحكامه مع الواقع الخارجي، إذا كان للكلام واقع خارجي، ومع الواقع النفسي العاطفي والشعوري، إذا تحدث الشاعر عن عاطفته وشعوره إزاء ما يراه ويتحدث عنه، فالشعر الذي لا يتحدث عن العاطفة الإنسانية الصحيحة، يكون مردودا على صاحبه[٣]، بل يرى النقاد العرب أن مصطلح (المثالية)[٤] له آثار في الشعر القديم ـ لاسيما ـ فن المدح، والغزل، فقد وضع النقاد القدامى شروطًا للمدح الجيد ـ كما بينَّا ـ وشروطًا للغزل الجيد، وبدراسة ما وضعوه من هذه الشروط، يمكن أن نحكم على لون هذا النقد بأنه نقد مثالي، وتلك السمة هي الغالبة على النقد عند العرب، فهم في نقدهم مثاليون أكثر منهم واقعيين، ويرجع ذلك إلى أنهم لم ينظروا إلى الصفات التي تنسب إلى الممدوح على أنها صفات يتسم بها حقًا، ولكن ينظرون إلى هذه الصفات من حيث مقدرة الشاعر على تصويرها كاملة، فعندما يرسم الشاعر صورة لوزير ـ مثلًا ـ يحاسبه النقاد على ما ينبغي أن يتصف به الوزير، لا على ما للوزير من صفات حقيقية، فالاتجاه العام عند النقاد العرب هو مؤاخذة الشاعر على رسم ما ينبغي أن يكون، لا رسم ما هو كائن[٥].

---

(١) الشعر في العصر العباسي الأول: د. غازي طليمات، أ. عرفان الأشقر، قنديل للطباعة والنشر، الإمارات العربية المتحدة، ط/١، ٢٠١٨م، ٦٣/٢. وقد أكَّد على هذه المعاني، الدكتور/ سامي الدهان، وهو بصدد حديثه عن غرض المدح ـ بصفة عامة ـ حيث يقول إنه:" فن الثناء والإكبار والاحترام، قام بين فنون الأدب العربي مقام السجل الشعري لجوانب حياتنا التاريخية، إذ رسم نواحي عديدة من أعمال الملوك، وسياسة الوزراء، وشجاعة القواد، وثقافة العلماء، فأوضح بذلك بعض الخفايا وكشف عن بعض الزوايا...". فنون الأدب العربي (المديح) : د. سامي الدهان دار المعارف، ط/٥، بدون، ٥.

(٢) ينظر: أسس النقد الأدبي عند العرب، ٣٦٨ ـ ٣٧٠، ٤٢٤ ـ ٤٤٢.

(٣) ينظر: السابق،٤٢٦.

(٤) وهو في الأخلاق يعنى به:" ذلك الميل إلى الاعتقاد بأن المثل العليا النبيلة التي لها مكان ممتاز في نفس الإنسان، كفيلة بإصلاح ما هو شر وخسيس في المجتمعات الإنسانية". معجم المصطلحات العربية:٣٣١.

(٥) ينظر: أسس النقد الأدبي عند العرب، ٤٣٣.

ولعلَّهُ من المفيد أن نؤكِّد على أن قضية الصدق قد لاقت اهتمامًا واسعًا من النقاد العرب، ففي حديث ابن طباطبا (٣٢٢هـ)عن: (الألفاظ والمعاني)، نراه يتعرض لقضية الصدق ورحلتها عبر العصور حتى عصره؛ حيث أكَّد على أن العرب في الجاهلية، وفي عصر صدر الإسلام كانوا يؤسسون معانيهم على الصدق في معظم الأغراض الشعرية، وأما في العصر العباسي، فذكر أن الشعراء كانوا لا يثابون إلا على ما يستحسن من المعاني اللطيفة والبديعة والغريبة، وكذلك الألفاظ البليغة والنادرة(١).

فإذا ما وصلنا إلى قدامة بن جعفر(٣٣٧)، نجده يعرف الغلو في إطار حديثه عن: (إيقاع الممتنع) الذي عدَّه من عيوب المعاني بقوله إنه:" تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه وليس خارجا عن طباعه إلى مالا يجوز أن يقع له "(٢)، لكنه ذكر ـ في موطن آخر ـ أن الشاعر" ليس يوصف بأن يكون صادقا، بل إنما يراد منه إذا أخذ في معنى من المعاني كائنًا ما كان أن يجيده في وقته الحاضر"(٣)، وقد وافقه الدكتور/ أحمد بدوي في رأيه هذا(٤)، لكن قد يفهم من ذلك بعض التناقض، فهل الشاعر مطالب ـ إذا كان عصره عصر غلو ـ بأن ينحدر إلى هاوية تودي بالشعر، وبعد ذلك نقول إنه أجاد؛ لأنه راعى النغمة السائدة في عصره؟!

ثم يأتي المرزوقي(٤٢١هـ)، فيحصر معاني الشعر في الصدق القائم على الدليل، وفي الغلو الذي يخرج إلى الكذب البواح، ثم جعل بينهما طريقة وسطًا تجمع بين الصدق والغلو المقبول الذي ليس فيه سرفٌ يُحيل المعني إلى وجهة غير مقبولة(٥).

بينما انتصر ابن رشيق(٤٥٦هـ) للشعر القائم على الحقائق والصدق، فيقول في سياق حديثه عن الغلو: "ومن أسمائه ـ أيضًا ـ الإغراق، والإفراط، ومن الناس من يرى أن فضيلة الشاعر إنَّما هي في معرفته بوجوه الإغراق والغلو، ولا أرى ذلك إلا محالًا؛ لمخالفته الحقيقة، وخروجه عن الواجب والمتعارف، وقد قال الحذاق: خير الكلام الحقائق، فإن لم يكن فما قاربها وناسبها...، وأصح الكلام عندي ما قام عليه الدليل، وثبت فيه الشاهد من كتاب الله تعالى، ونحن نجده قد قرن الغلو فيه بالخروج عن الحق... "(٦).

---

(١) ينظر: عيار الشعر،١٣.

(٢) نقد الشعر، ٨٣، ٨٤.

(٣) السابق،٦.

(٤) أسس النقد الأدبي عند العرب، ٤٢٧.

(٥) ينظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي،١/ ١٢، ١٣.

(٦) العمدة ، ٢/ ٦٠، ٦١.

واستعرض الإمام عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ) آراء النقاد في هذه القضية، ثم يميل إلى رأي من قال:(خير الشعر أصدقه)، ودليل ذلك قوله:" والعقل بعدُ على تفضيل القبيل الأول وتقديمه وتفخيم قدره وتعظيمه، وما كان العقلُ ناصرَهُ، والتحقيقُ شاهدَه، فهو العزيز جانبه، المنيع مَنَاكبُه، وقد قيل الباطل مخصوم وإن قُضي له، والحقّ مُفْلجٌ وإن قُضي عليه... "[١].

ومن المؤيدين لمقولة: (خير الشعر أكذبه)، أبو هلال العسكري(٣٩٥هـ)؛ حيث يقول عن الشعر إن:" له مواضع لا ينجع فيها غيره من الخطب والرسائل وغيرها، وإن كان أكثره قد بنى على الكذب والاستحالة من الصفات الممتنعة، والنعوت الخارجة عن العادات والألفاظ الكاذبة؛ من قذف المحصنات، وشهادة الزور، وقول البهتان؛ لا سيما الشعر الجاهلي الذى هو أقوى الشعر وأفحله؛ وليس يراد منه إلّا حسن اللفظ، وجودة المعنى؛ هذا هو الذى سوّغ استعمال الكذب وغيره مما جرى ذكره فيه، وقيل لبعض الفلاسفة: فلان يكذب في شعره؛ فقال: يراد من الشاعر حسن الكلام، والصّدق يراد من الأنبياء"[٢].

وعلى الدرب سار ابن الأثير(٦٣٧هـ)، حيث فضل الإفراط والكذب في الشعر؛ إذ هو من المناصرين لمقولة: (أحسن الشعر أكذبه)، وقد ذكر ذلك عند حديثه عن: (الصناعة المعنوية)؛ حيث يقول:" وأما الإفراط، فقد ذمه قوم من أهل هذه الصناعة، وحمده آخرون، والمذهب عندي استعماله، فإن أحسن الشعر أكذبه، بل أصدقه أكذبه، لكنه تتفاوت درجاته..."[٣].

ويتتبع الدكتور/ عبد العزيز عتيق، علماء البلاغة في حديثهم عن الغلو، فيقول:" إن رجال البديع يقسمون الغلو قسمين: مقبول وغير مقبول، فالغلو الحسن المقبول عندهم هو ما دخل عليه أو اقترن به أداة من الأدوات التي تقربه إلى الصحة والقبول من نحو: (قد) للاحتمال، و (لو)، و(لولا) للامتناع، و (كأنّ) للتشبيه، و (يكاد) للمقاربة، وما أشبه ذلك،... أما الغلو غير المقبول، فيتمثل في المعنى الذي يمتنع عقلًا وعادة مع خلوه من أدوات التقريب التي تدنيه إلى الصحة والقبول"[٤].

---

(١) أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، تح/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ٢٠٠١م، ١٩٦، ١٩٧.

(٢) الصناعتين، أبو هلال العسكري، تح/ محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ، ١٣٦، ١٣٧.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب، ابن الأثير، تح/أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، بدون، ١٩١/٣.

(٤) علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، بدون، ١٠٨- ١١١. ١١١.

- **المحور الثاني ـ أشعار المديح بين الفن والنقد:**

المتأمل في كتاب: (مفرج الكروب)، يجد أن ابن واصل(٦٩٧هـ) قد حرص عند عملية الاختيار الشعريّ، أن يضمّن كتابه المدائح[١] التي يظهر فيها معيار الصدق بأقسامه: (الأخلاقي، والفني، والتاريخي)، فقد خلَّد شعراء العصر الأيوبي كثيرًا من الملاحم القومية والدينية التي تُنبئ عن عاطفة دينية وقومية صادقة، مع حفاظهم على الفضائل والصفات التي حددها النقاد القدامى، وما يدخل في جملتها من أقسام يراوحون بينها عند النظم في غرض المدح، وتعد مدائح السلطان الملك صلاح الدين(٥٨٩هـ) من أقوى المدائح في شعر العصر الأيوبي، ولعلَّ السبب في ذلك هو ارتباطها بمرحلة تأسيس الدولة، وفتح بيت المقدس.

فمن المدائح التي أبدع في نظمها الشعراء الأيوبيون في السلطان صلاح الدين(٥٨٩هـ)، قصيدة أبي على الحسن بن على الجوينى(نحو ٥٨٤هـ) التي نظمها بعد هزيمة الفرنج بمرج العيون، والظفر المؤزر للأسطول المصرى الذي أحكم سيطرته على سفينتين كبيرتين، ثم عاد إلى الثغر مستصحبًا ألف رأس من السبى؛ حيث يقول:(من الخفيف)

لـــك ربُّ الســـماء خيـــر معـــينِ وكفيـــلٍ لمـــا تحـــبّ ضـــمينِ
فلـــه الحمـــد، أىّ نصـــرٍ عزيـــز قـــد حبانـــا بـــه، وفـــتحٍ مبـــينِ!
أدرك الثـــأر حـــين نازلـــه المغـــ وار حيـــف الكفـــار ليـــث العـــرين
الهمـــام الغضـــنفر الملـــك النـــا صـــر مـــولى الـــورى صـــلاح الـــدين
يـــا مليكـــا أضـــحى الزمـــان ينـــاجيـ ـــه بلفـــظ المـــذلّل المســـكين
فارقـــت أهلَهـــا الحصـــونُ إلـــى بـــأ ســـك حتـــى عوّضـــتهم بالســـجون
وأراهـــم ربُّ الســـماء بأســـيا فـــك مـــا لـــم يجـــل لهـــم فـــي ظنـــون
لـــك قلـــب عنـــد اللقـــاء مكـــين ولـــه مـــن تقـــاه ألـــف كمـــين
يـــا مليكـــا مـــا زال يلقـــى الأعـــادي وَهْـــوَ مستعصـــمًا[٢] بصـــدق اليقـــين[٣]

---

(١) ينظـر: مفـرج الكـروب، ٨٢/١، ١١٥، ١٢١، ١٢٢، ١٨٦، ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٣٨، ٢٥٦... ٢/ ٣٠، ٣٣، ٤٣،٥٦، ٦٢، ٧٨، ٨٣، ٨٤، ٩٩، ١٣٧، ١٩٨، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٤٠٤... ٣/ ٤٩، ٧٢، ١٣٠، ١٤٤، ١٤٧، ١٥٧، ٢١٤، ٢٢١، ٢٤٥... ٤/ ١٠٠، ١٠١، ١٠٥، ٢٦٢، ٢٧٤، ٣٠٣... ٥/ ٢٣، ٢٩، ٣٠، ٥٢، ٦٦، ٦٩، ٨٤، ٢٤٧... ٩٢/٦، ١١٧، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩،١٥٠، ٢٣٩، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٣٠٦، ٣٨٥...

(٢) كذا في مفرج الكروب، ٧٨/٢، والصواب: (مستعصمٌ).

(٣) يلاحظ أن ابن واصل قد تصرف في هذا البيت؛ حيث جاء في الروضتين:

(يا مليكا يلقى الحروب بحول اللَّـــه مستعصما وصدق اليقين)

إنّ هـــذا الفـــتح المبـــين شـــفاء لصـــدور، وقـــرة لعيـــون

هـــو يـــوم أضـــحى كيـــوم حنـــين ســـهّل الله نصـــره فـــي الحـــزون[١]

يلاحظ أن الشاعر قد ركَّز على خصلة من الخصال التي حدَّدها قدامة عند ركوب الشاعر مركب المدح وهي: (الشجاعة)، التي تبرز لنا صورة صلاح الدين (البطل) في خوضه للمعارك هو وجيشه ـ ولا غرو في ذلك ـ فهو الأسد الهمام الذي أذلَّ رأس الشرك ومن معه، وأحالهم من منعة الحصون إلى قبضة السجون، ولا شكَّ في أن هذه الشجاعة الفائقة نابعة من قلب ثابت عند احتماء الوطيس، معتصم بحبل التقوى، ومن ثمَّ تمَّ له الفتح الذي يشبه نصر غزوة حنين الذي سهَّله الله ﷻ لنبيه ﷺ بعد صعوبة في أول الأمر...

وتتجلى براعة ابن واصل في اختياره هذه القصيدة للجوينيّ؛ لما فيها من عناصر الفن التي يظهر من خلالها الصدق مع جمال الأسلوب، كاستخدامه بعضًا من الأساليب الإنشائية التي خرجت عن معناها الحقيقي، فساهمت في إبراز بعض المعاني الحسنة، ومنها الاستفهام في قوله:(أيّ نصر عزيز)، والنداء وتكراره في قوله:(يا مليكًا)، وفي الأسلوبين ما يدلُّ على عظمة الانتصار، وعظمة وقوة البطل (صلاح الدين)! يؤكد ذلك روعة هذه الصورة التي شخص فيها الزمان إنسانا يناجي البطل صلاح الدين في ذلة وانكسار، فضلًا عن الخفة الموسيقية التي أضفاها الشاعر على قصيدته باستخدام (بحر الخفيف)، واستخدام التقفية[٢] في بداية القصيدة، بين لفظتي: (معين، ضمين)، مع استخدام بعض المحسنات البديعية، كجناس القلب[٣] في قوله (مكين، وكمين)، مع شدة وقع (قافية النون) المكسورة التي تتناسب مع الحدث!

ومنها: قصيدة العماد الكاتب(٥٩٧هـ) التي أرسلها من الشام للبطل صلاح الدين(٥٨٩هـ)، بعدما أمر" بتخريب محلة السودان، وأعفى أثرها، فخرّبها بعض الأمراء واتخذها بستانًا؛ وأصبح أمر السودان كأن لم يكن قط ؛ حيث يقول:(من مخلع البسيط)

وقد ساهم تصرفه في إيضاح المعنى ـ خاصة ـ عندما غير الواو إلى الباء في قوله: (بصدق اليقين)، ومع أن كليهما استخدم زحاف (الخبن)؛ إلا أن ابن واصل أظهر تمكنه في استخدامه عن ابن شامة؛ لكنه من الممكن أن نخرج رواية أبي شامة:(وصدق اليقين) على أن قوله: (وصدق) معطوفة على(حولِ)، والعطف على نية تكرار العامل، وعليه يكون المعنى: يلقى الحروب بحول الله مستعصما[به]، وبصدق اليقين. ينظر: مفرج الكروب،٢/ ٧٨، والروضتين في أخبار الدولتين، ٣/ ٣٠.

(١) ينظر: مفرج الكروب،٢/ ٧٨، والروضتين في أخبار الدولتين، ٣/ ٣٠، والبرق الشامي، العماد الأصبهاني، تح/ د. فالح حسين، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن، ط/١، ١٩٨٧م، ١٧٢/٣.

(٢) وهي:" توافق أبيات القصيدة على الروي الأخير الذي بنيت عليه من غير عيب". المعجم المفصل في الأدب، ٢٧٦.

(٣) وهو: "ما اختلف فيه اللفظان في ترتيب الحروف". السابق،٣٣١.

بالملـــــك الناصـــــر اســـــتنارت فـــــي عصـــــرنا أوجـــــه الفضـــــائل
علـــــىّ مـــــن حقـــــه فـــــروض شـــــكرا لمـــــا جـــــاد مـــــن نوافـــــل
يوســـــف مصـــــر الـــــذى إليـــــه تشـــــدّ آمالُنـــــا الرواحـــــل
أجريـــــت نيلـــــين فـــــي ثراهـــــا: نيـــــل نجيـــــع[١]، ونيـــــل نائـــــل
ومـــــا نفيـــــت الســـــودان حتـــــى حُكِّمَـــــتِ البـــــيض فـــــي المقاتـــــل
صـــــيّرت رحـــــب الفضـــــاء ضَـــــيْقًا علـــــيهم كفـــــه بحائـــــل[٢]
وكـــــلّ رأى[٣] مـــــنهم كـــــراء وأرض مصـــــر كـــــلام واصـــــل
وقـــــد خلـــــت مـــــنهم المغـــــانى وأقفـــــرت مـــــنهم المنـــــازل
ومـــــا أصـــــيبوا إلا بطـــــلّ فكيـــــف لـــــو أمطـــــروا بوابـــــل؟!
والســـــود بـــــالبيض قـــــد أبيحـــــوا فهـــــى بـــــواديهم نـــــوازل
مـــــؤتمن القـــــوم خـــــان حتـــــى غالتـــــه مـــــن شـــــرّه غوائـــــل
عـــــاملكم بالخنـــــا فأضـــــحى ورأســـــه فـــــوق رأس عامـــــل
يـــــا مخجـــــل البحـــــر بالأيـــــادى قـــــد آن أن تفـــــتح الســـــواحل
فقـــــدّس القـــــدس مـــــن خبـــــاث أرجـــــاس كفـــــر غـــــتم أراذل"[٤]

---

(١) "والنجيع: الدمُ". اللسان، مادة (نجع)، ٣٤٨/٨.

(٢) كذا في مفرج الكروب، ١٧٧/١، وذكر المحقق أن الأصل فيه:(كفةً لحابل)، فالحابل له كفة، وهو شبكة الصيد، وهو الصواب. ينظر: نقد مصطفى جواد للجزءِ الأول بآخر الجزءِ الثاني من مفرج الكروب، ٥٤٣/٢.

(٣) كذا في مفرج الكروب، ١٧٧/١، وفي الروضتين:(وكل راءٍ منهم)، وفي هذا البيت وعدة أبيات أخرى استعمل العماد (فعولن) في موضع (فاعلن). ينظر: الروضتين، ١٣٤/٢.

(٤) مفرج الكروب، ١٧٧/١، ١٧٨، والروضتين في أخبار الدولتين،٢/ ١٣٣، ١٣٤، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المقريزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤١٨هـ، ٣٧/٣، ٣٨، وديوان العماد الاصبهاني، الشاملة، بدون،٦٧، ٦٨، http://shamela.ws/index.php/book/٦٦٨٠، وينظر: عماد الدين الأصفهاني شاعرا، دراسة تحليلية نقدية، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان، حيدر خليفة أحمد، ٢٠٠٩م،٢٨١، وقد ذكرت قصة تخريب محلة السودان في الروضتين، ومفرج الكروب، والمواعظ والاعتبار بتمامها؛ حيث كانت الواقعة في محلة على باب زويلة تسمى: المنصورة أو المنصورية، التي كان يقطنها بعض الجنود السودانيين ـ نتيجة للخيانة التي حصلت منهم؛ حيث باعوا أنفسهم وديارهم للفاطميين والصليبيين، بل أخذوا يقتلون وينهبون بقيادة رجل يدعى مؤتمن الخلافة . الذي اتفق مع الصليبين على دخول مصر وقتل صلاح الدين، فكان لابد أن يحكم البطل صلاح الدين سيطرته على البلاد التي تحت قبضته، وتم له الأمر باكتشاف الخيانة، وإعدام هذا الخائن، وقتل وتشريد من كان معه إلى الصعيد.

فالشاعر قد جمع للسلطان البطل صلاح الدين كل الفضائل، التي تستحق الشكر من كل إنسان يحتمي تحت رايته، فإذا كان يوسف عليه السلام قد أجرى الله عز وجل الخير علي يديه في مصر، فإنه قد أجرى على يد (يوسف) صلاح الدين نيلين: نيل من الدماء؛ ممَّا يدلُّ على كثرة الدماء التي تراق في ساحات المعارك عند ملاقاة الأعداء، ونيل جوده وفيضه؛ ممَّا يدلُّ على كثرة عطائه ونواله، والجود أحد أقسام العدل، ثم انتقل للحديث عن شجاعته الفائقة في استئصال شأفة فئة السود الخائنة، ممَّا أغراه بالمطالبة بفتح القدس الشريف، وتطهيره من رجس الأنجاس الصليبين، فإنه قد آن أوانه!

كما لا يخفى على كل متذوق، ما أضفاه التوظيف الشعري لشخصية سيدنا يوسف عليه السلام في قوله:(يوسف مصر الذي إليه...)، وقصد به (يوسف) البطل صلاح الدين، كذلك ما أضفاه حسن التقسيم[١] في قوله:(أجريت نيلين: نيل نجيع، ونيل نائل)، بل ما أجمل استخدامه أسلوب الاستفهام الذي خرج إلى معنى التعجب في قوله: (فكيف لو أمطروا بوابل؟!)، مع اعتماده على الاقتباس القرآني في لفظتي:(بطَّلٍ، بوابل)، إشارة إلى قول الله تعالى:" **فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** "[٢]. لكنه قد يؤخذ عليه خضوعه لمغريات الصورة[٣]، لكنَّ الذي يغفر له هو عدم تكدس الصور في القصيدة، بل ما أجمل استخدامه للألوان في إبراز صوره الرائقة، مثل ما جاء في قوله:(حكمت البيض في المقاتل)، يقصد: (حكمت السيوف في النحور)، وقوله: (والسُّود بالبيض قد أبيحوا) أي: أن السودان أصحاب البشرة السوداء، قد أبيحت دماؤهم بالسيوف البيض!! ومن جميل ما اختاره ابن واصل في مدح السلطان الناصر صلاح الدين(٥٨٩هـ) بعد رحيل الفرنج، قصيدة للعماد الكاتب(٥٩٧هـ)؛ حيث يقول فيها:(من المنسرح)

كأنّ قلبي وحبّ مالكه مصر وفيها المليك يوسفها
هذا بسلب الفؤاد يظلمني وهو بقتل الأعداء ينصفها
الملك الناصر الذى أبدا بعزّ سلطانه يشرّفها
قام بأحوالها، فدبّرها حسنا، وأثقالها يخفّفها
بعدله والصّلاح يعمرها وبالندى والجميل يكنفها
من دنس الغادرين يرحضها ومن خباث العدى ينظّفها
وإنّه في السّماح حاتمها، وإنّه في الوقار أحنفها

(١) وهو: "أن يذكر متعدد ثم يضاف إلى كل من أفراده ما له على جهة التعيين". المعجم المفصل في الأدب، ٢٧٣ .
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٥.
(٣) ينظر: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، د. علي عشري زايد، مكتبة ابن سينا، ط/٤، ٢٠٠٢م، ٩٨، ٩٩.

يوســـف مصـــر التـــي ملاحمهـــا جـــاءت بأوصـــافه تعرّفهـــا
كتـــب التـــواريخ لا يزيّنهـــا إلا بأوصـــافه مصـــنّفها
وحطـــت دميـــاط إذ أحـــاط بهـــا مـــن برجـــوم الـــبلاء يقـــذفها
لاقـــت غـــواة الفـــرنج خيبتهـــا فـــزاد مـــن حســـرة تأسّـــفها
أوردت قلـــب القلـــوب أرشـــية مـــن القنـــا للـــدماء تنزفهـــا
ولّيتهـــا ســـفكها فعاملهـــا عاملهـــا والسّـــنان مشـــرفها
يمضـــى لـــك الله فـــي قتـــالهم عزيمـــة للجهـــاد ترهقهـــا[١] [٢]

فالشاعر في هذه القصيدة، قد التزم ـ من خلال نظمه ـ الصفات التي تواطأ على اختيارها النقاد لكل من أراد ركوب مركب المدح، فالعماد الكاتب قد مدح البطل صلاح الدين بالقوة والشجاعة، ويدلُّ على ذلك قوله:(وهو بقتل الأعداء ينصفها) وقوله: (من القنا للدماء تنزفها)، وصفة العدل، ويدلُّ على ذلك قوله: (بعدله والصّلاح يعمرها)، وصفة الجود التي هي أحد أقسام العدل، ويدلُّ على ذلك قوله:(وبالندى والجميل يكنفها)، وقوله:(وإنّه في السّماح حاتمها)، إشارة إلى حاتم الطائي(٤٦ق.هـ) الذي عرف بالكرم والسماحة، ثم ختم بصفة الوقار والعفة في قوله:(وإنّه في الوقار أحنفها)؛ إشارة إلى حلم ووقار وعفة الأحنف بن قيس(٧٢هـ).

ناهيك عن ذاك الجمال الموسيقي الذي نشعر به من خلال بعض حروف القافية؛ إذ إن حرف الوصل[٣] (الهاء) من الحروف الشعورية، الذي إذا لفظ به "مخففًا مرققًا مطموس الاهتزازات، أوحى

---

(١) كذا في مفرج الكروب،١٨٤/١، والصواب: (ترهفها). ينظر: الروضتين،١٤٧/٢.

(٢) ينظر: مفرج الكروب، ١/ ١٨٣، ١٨٤، والروضتين في أخبار الدولتين، ٢/ ١٤٦، ١٤٧، وديوان العماد الاصبهاني،٦٣ـ٦٥، وقد بدأ الشاعر قصيدته بقوله مصرعا:

يروقنـــي فـــي المهـــا مهفهفهـــا ومـــن قـــدود الحســـان أهيفهـــا

وينظر: عماد الدين الأصبهاني شاعرا،٢١٩؛ حيث استدل الباحث ببيت من هذه القصيدة على استخدام العماد (محسِّن الطباق)، وهو:

إن أظلمـــت ســـدفة أنـــرت لهـــا أبهـــى ليـــالي البـــدور مســـدفها

والملاحظ أن اختيار ابن واصل هذه الأبيات دون غيرها من القصيدة، يؤكد ما ذهبنا إليه وهو: اختياره أشعار المديح لذوق وهدف عنده.

(٣) " ويكون بإشباع حركة الروي، فيتولد من هذا الإشباع حرف مدٍّ، أو يكون بهاء بعد الروي؛ ساكنة أو متحركة". المعجم المفصل، ٥٠١.

بأرق العواطف الإنسانية وأملكها للنفس"[١]، وبالفعل فقد أحدث نغمًا مع ألف الخروج[٢] يشعرنا بمدى تأثر الشاعر بكثير من الأخلاق الإنسانية والبطولية التي اتصف بها البطل صلاح الدين! يضاف إلى ذلك جمال التصريع في معظم أبيات القصيدة ـ ولا عجب ـ فالتصريع في الشعر "بمنزلة السجع في الفصلين من الكلام المنثور"[٣].

ولا يفوتني إشارة العماد ـ في هذه القصيدة ـ التي سنبني عليها في قادم الصفحات؛ حيث أثبت من خلالها أن كتَّاب التاريخ يزينون مصنفاتهم التاريخية بأوصاف (يوسف)، يقصد: البطل صلاح الدين!!

ويعود ابن واصل مرة أخرى، ليؤكِّد على فكرة خوف القادة الصليبين من البطل صلاح الدين، فيختار قصيدة لمحمد بن سلطان بن الخطاب المقرئ[٤]، يقول فيها:(من المتقارب)

لقد جمّل الله منك الورى بأوفى مليك وفيٍّ هجان
تهشّ إلى نغمات السيو ف في الهام، لا نغمات القيان
أزرت ابن لاون[٥] لأواءه، فأضحى به خبرا عن عيان
ودان من الذلّ لا يرعوى حذارا من الراعفات[٦] اللدان[٧]
فلا قدم عنده للثبات وليس له بسطاكم يدان
وأخلى إليكم مناقيره [٨] وغادر للهدم تلك المبانى
وأرسل بالأسراء العنا ة يسأل إطلاقه، فهو عانى
رتقت بعزمك والمكرمات فتوقا من الأرتقى الهجان

(١) خصائص الحروف العربية ومعانيها، ١٩٣.

(٢) وهو:" حرف مدٍّ يلي هاء الوصل الواردة بعد حرف الروي". المعجم المفصل،٣٩٧.

(٣) المثل السائر،٢٣٧/١.

(٤) أبو غالب المقرئ النحوي: محمد بن سلطان بن أبي غالب بن الخطاب من أهل النيل، قدم بغداد وقرأ بها الأدب على ابن الخشاب، وأبي البركات الأنباري، وابن العصار، وأبي محمد الجواليقي، وسمع الحديث من أبي بكر بن النقور، وأبي الوقت الصوفي، والحيص بيص وسكن الشام، وأقرأ الأدب. ينظر: الوافي بالوفيات،٩٩/٣.

(٥) قيل هو: (ليون الثاني) صاحب أرمينية . ينظر: مفرج الكروب، ١٠٠/٢ من الهامش.

(٦) الرَّوَاعِفُ: الرِّماحُ. وهي صِفَةٌ غَالِبَةٌ يظهر فيها معنى السبق، إِمَّا لتقدُّمِها للطَّعْن، وَإِمَّا لِسَيَلانِ الدَّمِ مِنْهَا، والرَّعْفُ: سُرعَة الطَّعْنِ. ينظر: لسان العرب، ١٢٣/٩، مادة(رعف)

(٧) اللَّدْنُ: اللّيّنُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ عُودٍ أَو حَبْلٍ أَو خُلُقٍ، ومنه: رُمْحٌ لَدْنٌ ورِماحٌ لُدْنٌ. ينظر: لسان العرب، ٨٣/١٣. مادة (لدن).

(٨) يلاحظ أن المحقق قد تصرف في هذا الشطر؛ حيث جاء في الروضتين،(وأخلى لهيبتك المانقير) وقد أصاب في تصرفه؛ ليستقيم الوزن.

ورعـــت أبـــن ســـلجوق[١] فـــي ملكـــه فقعقـــع[٢] مـــن رعبـــه بالشـــنان[٣]

فقد أكَّد على ترويع البطل صلاح الدين للقائد الصليبي (ابن لاون)؛ حيث كان تحت قبضته ذليلا لا تثبت له قدم ولا تبسط له يد، بعد السيطرة على قلعة المناقير، والتقوي بما فيها من آلات وذهب وفضة، ثم أتوا عليها فهدموها من أساسها، ثم عرض (ابن لاون) عليه المال الكثير فداء للأسرى من الإفرنج، فوافق السلطان بعد تنفيذ شروطه.

وأما على مستوى الفن، فيُحمد لابن واصل اختياره هذه القصيدة؛ لما فيها من عناصر التصوير الأدبي، فمن دلائل البطولة عند صلاح الدين، ما عبَّرت عنه هذه الصورة السمعية في البيت الثاني، التي تُظهر لنا أن فرحه بسماع أصوات السيوف وضرباتها النازلة على الرؤوس، يفوق فرحه بسماع أصوات القيان والمعازف! ـ ولا عجب ـ فهناك فرق بين ملك مجاهد، وملك ماجن!! بل ما أجمل هذا الجناس في تكرار كلمة: (نغمات) بهيئتها كاملة دون زيادة ولا نقص، إضافة إلى هذا التناغم الموسيقي الداخلي في قوله: (أزرت ابن لاون لأواءه)، وقوله: (وأرسل بالأُسَراء العناة... فهو عاني)، ثم يظهر هذا كله في وحدات الموسيقى الخارجية، الناتجة عن بحر (المتقارب)، الذي تتقارب أجزاؤه وتفعيلاته، فهو من البحور ذات التفعيلة الواحدة، ثم قافية النون المكسورة شديدة الوقع على النفوس والقلوب!

وعندما وقعت الهدنة بين الملك العادل(٦١٥هـ) ـ على شرط السلطان صلاح الدين ـ وملك انجلترا، قال أبو الحسن على بن الساعاتى(٦٠٤هـ)، يمدح السلطان الملك الناصر(٥٨٩هـ):(من الكامل)

مُنِعَـــتْ ظبـــاءُ المنحنـــى بأُســـودِهِ وأشـــدّ مـــا أشـــكوه فتـــك ظبائـــه
فعلـــت بنـــا وهـــى الصـــديق لحاظُهـــا كظُبَـــى صـــلاح الـــدين فـــي أعدائـــه
ســـل عنـــه قلـــب الانكتيـــر[٤] فـــإنّ فـــي خفقانـــه مـــا شـــئت مـــن أنبائـــه

---

(١) يلاحظ أن ابن واصل قد تصرف عروضيًا في كلمة: (سلجوق)؛ حيث جاءت في الروضتين(مصدره)، (ابن سلجق في ملكه)، وبهذه الرواية تكون التفعيلة الثانية من الشطر الأول مقبوضة(فعول)، وبرواية ابن واصل تكون سالمة (فعولن)، ولاشكَّ أن فيها من الخفة ما فيها، وابن سلجوق هو: (قلج أرسلان بن مسعود) ينظر: الروضتين في أخبار الدولتين، ٣٥٧، ومفرج الكروب، ٢/ ١٣٨.

(٢) "والقَعْقَعةُ: حكايةُ أَصوات السِّلاحِ والتِّرَسةِ والجُلُودِ الْيَابِسَةِ وَالْحِجَارَةِ والرَّعْدِ والبَكْرةِ والحُليّ... وَفِي الْمَثَلِ: فلانٌ لَا يُقَعْقَعُ لَهُ بالشِّنانِ أَي لَا يُخْدَعُ وَلَا يُرَوَّعُ" اللسان، (قعع)، ٢٨٦/٨، والكلمة فيها دلالة على التخويف والترويع لابن لاون، وابن سلجوق على السواء.

(٣) مفرج الكروب، ٩٩/٢، ١٠٠، والروضتين في أخبار الدولتين، ٣/ ٥٦، ٥٧، وفيهما قصة الغزوة بتمامها.

(٤) ملك انجلترا (ريتشارد قلب الأسد). ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، الرسالة، ط/٣، ١٩٨٥م، ٢٢/ ٢١٣.

لـــــولاك أمّ البيـــــت غيـــــر مـــــدافع وأســـال ســـيل نـــداه فـــي بطحائـــه
وبكـــت جفـــون القـــدس ثانيـــة دمـــا لتـــــرنّم النـــــاقوس فـــــي أفنائـــــه [١]

فالشاعر في هذه المقطوعة، يؤكد على شجاعة صلاح الدين من جانب، وجبن ورعب الأعداء وخوفهم من جانب آخر، ولا عجب فرأسهم (ريتشارد قلب الأسد) قلبه يكاد يقف من شدة الخفقان، فلولا هذا البطل لمَا استطاع أحدٌ أن يقف في وجه ريتشارد، ولصارت أطلال فلسطين حزينة باكية من جديد، وعلى رأسها القدس الذي كان سيبكي دَمَاً من ظهور نغمات ناقوس النصارى عالية في ربوعه!

وفـي فـتح بيـت المقـدس، يمـدح علـى بـن محمد السـاعاتى(٦٠٤هـ)، السـلطان صـلاح الدين(٥٨٩هـ)؛ فيقول:(من الطويل)

أعيّـا[٢] وقـد عـاينتم الآيـة العظمـى؟ لأيـة حـال تـدخر النثـر والنّظمـا
وقـد سـاغ فـتح القـدس فـي كـل منطـق وشـاع إلـى أن أسـمع الأسـلَ الصّـمّا
فليـت فتـى الخطّـاب شـاهد فتحهـا فيشـهد أنّ السـيف مـن يوسـفٍ أصـمى
حبـا مكّـة الحسّـنى وثنّـى بيثـرب وأسـمع ذيّـاك الضّـريح ومـا ضـمّا
ومـا كـان إلا الـداء أعيـا دواؤه وغير الحسام العضب لا يحسن الحسما [٣]
وأصـبح ثغـر الـدين جـذلان باسـمًا وألسـنة الأغمـاد توسـعه لثمـا
سـلوا السـاحل المخشـى عـن سـطواته فمـا كـان إلا سـاحلا صـادف اليمـا[٤]

يُلاحظ ـ أيضا ـ سيطرة صفة (الشجاعة) على مدح ابن الساعاتي(٦٠٤هـ)؛ حيث جعل فتح بيت المقدس معجزة من المعجزات التي أجراها الله على يد (يوسف) صلاح الدين، صاحب السيف البتار الذي لو رآه عمر بن الخطابﷺ لشهد له بالقوة والشجاعة، بل يؤكد على أن ما أخذ بالسيف

---

(١) مفرج الكروب،٢/ ٤٠٤، وفي الديوان البيت الأول والثاني. ينظر: ديوان ابن الساعاتي، تح/ أنيس المقدسي، المطبعة الأميريكانية، بيروت، ١٩٣٨م،١/٧٦ ـ ٧٧. ثم استدرك المحقق في الملحق الأبيات الثلاثة المتممة لها. ينظر: ديوان ابن الساعاتي، ٢/٤١١. فالقصيدة بمقدمتها الغزلية تقع في عشرين بيتا، خمسة منها خالصة للمديح، هي ما هنا.

(٢) يقال:" عَيَّ بِأَمرِهِ وعَيِيَ إِذَا لَمْ يَهْتَدِ لوجهِه". اللسان، (عيا)، ١٥/١١٣.

(٣) يحتوي هذا البيت على شيء من الحكمة المعهودة عند العرب، وهو قريب من قول المتنبي:

وكـــم عـــين قـــرن حـــدقت لنزالـــه فلـــم تغـــض إلا والســـنان لهـــا كحـــل
اذا قيـــل رفقـــا قـــال للحلـــم موضـــع وحلـم الفتي فـي غيـر موضعـه جهـل

ينظر: ديوان أبي الطيب المتنبي، تح/ د. عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، بدون، ٤١ من الديوان.

(٤) مفرج الكروب، ٢/٢٣٤، والروضتين في أخبار الدولتين، ٣/ ٣٧٣، وديوان ابن الساعاتي، ٢/٣٨٥، ٣٨٦. يلاحظ أن ابن واصل قد تابع أبا شامة في تصرفه في هذه القصيدة، ولم يخالفه إلا في التقديم والتأخير بين البيتين الثالث والرابع، وظاهر تركيزهما على أجود أبيات المديح في القصيدة.

لا يُستردُّ إلا بالسيف، وبالفعل عاد ثغر الدين باسمًا من جديد، ومن أراد أن يسأل عن سطوات هذا البطل المغوار، فليسأل سواحل الشام، وسيعلم أنه بحر هائج تتلاطم أمواجه غيظًا، فلا تهدأ حتى تبيد سواحل الظالمين!!

وعلى مستوى الفن، فقد أحسن ابن واصل اختيار هذه القصيدة؛ لما اشملت عليه من عناصر الأسلوب الجمالية؛ حيث استخدم الشاعر أسلوب الاستفهام في قوله: (أعيّا وقد عاينتم الآية العظمى؟) الذي يدل على حيرته وشكِّه ـ هو وغيره من الشعراء والكتَّاب ـ في بداية الأمر؛ لكنه أصبح ثابت الجنان بعدما رأى فتح بيت المقدس الذي يعد آية عظمى تدعو كل ناظم وناثر؛ كي يدلي بدلوه في تخليدها، كما اعتمد على التوظيف الشعري في قوله:(فليت فتى الخطّاب شاهد فتحها)، حيث وظف شخصية سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ ، كما اشتملت الأبيات على الحكمة التي عُرِفَ بها العرب، عندما قال: (وغير الحسام العضب لا يحسن الحسما)؛ مع استخدامه جناس القلب في كلمتي:(الحسام، والحسما)، بل ما أجمل هذه الصورة الفنية التي شخَّص فيها الدين إنسانًا له ثغر ضاحك مبتسم ـ لاسيما ـ وأنه رأى سيوف الأبطال ما عادت إلى أغمادها، إلا وهي تقبلها بشفاهها بعدما سالت دماء الأعداء على أسنتها!!

ويعد ابن سناء الملك(٦٠٨هـ) من الشعراء المشهورين الذين مدحوا الملك البطل صلاح الدين(٥٨٩هـ)، فمن مدائحه:(من البسيط)

أرض الجزيرة لم تظفر ممالكها بمالك فطن أو سائس درب
ممالك لم يدبرها مدبّرها إلا برأى خصى أو بعقل صبى
حتى أتاها صلاح الدين فانصلحت بعد الفساد، كما صحّت من الوصب
واستعمل الجد فيها غير مكترث بالجد، حتى كان الجدّ كاللعب
وقد حواها فأعطى بعضها هبة فهو الذى يهب الدنيا، ولم يهب
يعطى الذى أخذت منه ممالكه وقد يمنّ على المسلوب بالسّلب (١)

يلاحظ دقة اختيار ابن واصل لهذه القصيدة التي اشتملت على مجموعة من الصفات الحميدة التي إذا ركز عليها أي شاعر يكون قد أجاد في مدحه، ومنها صفة (العقل): التي يتركب منها: الفطنة، والخبرة، والحنكة في سياسة الناس، وتدبير شئونهم، فهو صاحب الآراء الصائبة النابعة عن عقل رصين ـ ليس عقل صبي طائش ـ عالج الحياة مرة بعد مرة، كذلك من صفاته الجد وعدم الرعونة،

(١) مفرج الكروب، ٢/ ١٣٧، ١٣٨، والروضتين في أخبار الدولتين، ٣/ ١٦٤، وديوان ابن سناء الملك، ٣/٢، ومما يدلُّ على أن اختيار ابن واصل مرتبط بهوى ذوقي خاص عنده، تركيزه على بعض الأبيات المدحية دون غيرها من الروضتين (مصدره) الذي نقل عنه، وكذلك من الديوان.

وهما من مستلزمات صفة (الشجاعة)، ثم الجود وكثرة الهبات والجوائز.

وما أجمل استخدامه بعض المحسنات البديعية، كالجناس الاشتقاقي[١] في قوله:(يدبرها مدبرها)، فأصل الكلمة(دبر)، وحسن التقسيم في قوله:(بمالك فطن، أو سائس درب)، وقوله: (برأي خصي، أو بعقل صبي)، مما أضفى على الأسلوب تطريبًا موسيقيًا تلذ له الآذان!

يلاحظ في كل ما سبق من مدائح في صلاح الدين الأيوبي، أنه قد توفر فيها شرط النقاد عند (مدح القائد)؛ حيث اشترطوا أن تجيء معانيه" فيما يجانس البأس والنجدة، ويدخل في باب شدة البطش والبسالة، فإن أضيف إلى ذلك المدح بالجود والسماحة والتخرق في البذل والعطية، كان المديح حسناً، والنعت تاماً، إذ كان لهم السخاء أخًا الشجاعة، وكانا في أكثر الأمور موجودين في بعداء الهمم، وأهل الإقدام والصولة"[٢]، فضلا عن توفُّر عناصر الفن الشعري دون مبالغة.

ولا أدري كيف خَلُصَ الدكتور/ محمد زغلول سلام، إلى رأيه في شعر العصر الأيوبي الذي قال فيه:" ويعجب المتتبع لشعر العصر وشعرائه، أن لا يجد بين أولئك الشعراء من يتناول شخصية أحد الأبطال، فيحاول تخليدها بشعر يرسم معالمها كما فعل المتنبي ـ مثلا ـ بالنسبة لسيف الدولة حيث رسم خطوط شخصيته واضحة في قصائده المعروفة بالسيفيَّات... وكان أجدر بصلاح الدين أن يلقى متنبِّيًا، ولا نجد سوى قصائد عادية في مستواها الفني... "[٣]!!

وأقول: إن بطلًا كصلاح الدين لا يستطيع شاعرٌ واحدٌ أن يحدَّ صفاته أو أن يقف على ملامح شخصيته؛ فكان لابد أن يتبارى الشعراء في الكشف عن ذلك، ولاشكَّ في أن لكل شاعر معايشاته وتجاربه وأدواته، فإذا كانت كتب التاريخ على اتساعها يزينها أصحابها ببعض المقطوعات المدحيَّة التي حاولت جمع صفات البطل صلاح الدين؛ فإن كثيرًا من دواوين الشعراء في العصر الأيوبي، قد حفلت بالقصائد الطوال التي حاولت الإحاطة بهذه الشخصية الفذة من كل الزوايا، التي ما زالت تدرس إلى اليوم للكشف عن أسرارها ومكنوناتها!

بل جانب الدكتور/ سلام الصواب، عندما جزم بأنه لا يوجد شاعر قد تناول شخصية بطل من أبطال الدولة الأيوبية، فخلدها بشعر يكشف عنها، فهذا الملك العادل(٦١٥هـ) قد خلده ابن النبيه في ديوانه بمجموعة من القصائد في ديوانه سمَّاها: (العادليات)[٤]، ويؤكد ذلك قول أحد الباحثين:" وهذا ديوان ابن النبيه ـ مثلا ـ قد اشتغل صاحبه فيه بتلك الفتوح والانتصارات التي تمت على يد ممدوحيه، ولم يكن فيه للأغراض التافهة أو الخيال الكاذب إلا نصيب ضئيل، ففي هذا الديوان

---

(١) وهو: "أن يجمع اللفظين المتجانسين اشتقاق واحد". المعجم المفصل في الأدب، ١/ ٣٢٨.

(٢) نقد الشعر:٢٧، ٢٨.

(٣) الأدب في العصر الأيوبي، د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية،١٩٩٠م، ٣١٩، ٣٢٠.

(٤) ديوان ابن النبيه، كمال الدين على بن محمد، مطبعة ثمرات الفنون، ١٩٢٩م،٩ ـ ١٢.

قصائد بعنوان:(العادليات) استوفت من الديوان نصيبًا كبيرًا ... "[١]، وبعد أن ذكر بعض النماذج العادلية، قال:"...وكذلك الحال في دواوين غيره من الشعراء"[٢].

بل تتضح الصورة ـ عندي ـ بعدما وجدت في ثنايا كتاب: (الروضتين في أخبار الدولتين)، ما يؤكد على أن الشعراء الأيوبيين كانوا ينظمون مثل هذه المجموعات؛ حيث يقول:" وللحكيم أبي الفضل قصائد قدسيَّات طوال كثيرة الفوائد...، وأما القصائد القدسيَّات التي له فمنها التائية ...، ومنها القدسية الكبرى عددها مائة واثنان وخمسون بيتا أولها:(من الطويل)

لسرعة فتح الْقُدس سر مغيَّب وَفِي صرعة الإفرنج مُعْتَبر بدا
أَتَوا بحبال أبرمت لإسارنا فسقناهمُ فِيهَا قطينا محددا[٣]

إذن أقول: إن فكرة تخليد الشخصيات كانت في أذهان الشعراء الأيوبيين، ولا يستبعد أنه قد نظمت قصائد مثل: السيفيَّات، والعادليَّات، والقدسيَّات في صلاح الدين، وتكون قد فقدت مع ما فقد من الدواوين الأيوبية، ولا شكَّ في أن هذا البطل كان ـ ولا يزال ـ يحقد ويحنق عليه أعداء كثيرون، على رأسهم الفاطميون الذين استأصل شأفتهم، ثم النصارى الصليبيون الذين تم زوال ملكهم في القدس وأغلب الممالك العربية على يديه.

كما أن الدكتور/ محمد زغلول سلام، قد جانبه الصواب مرة أخرى، عندما قال عن شعر العصر الأيوبي وشعرائه: " ويبدو أن شعراء العصر كانوا مشغولين بالصنعة والمظهر اللفظي أكثر من العناية بروح الشعر؛ مما جعل الشعر يخرج ـ أحيانًا ـ عن طريق الفن والإبداع إلى مجموعة من الألفاظ والصفات المكررة، والتي تحمل أوصافا تحشد حشدا تنفر السامع بطول القراءة وتكسبه الملل والسأم"[٤].

وأزعم أن الأشعار التي تعرضنا لها في هذا البحث، تؤكد على عدم صحة هذه الوجهة إلى حدٍ بعيدٍ؛ فجلُّ الشعراء الأيوبيين قد التزموا معيار الصدق بأقسامه...، والصفات والفضائل التي حدَّدها النقاد للشعراء؛ كي يسيروا عليها في مدائحهم المختلفة، أما قضية تكرار الألفاظ والصفات، فليس في ذلك مشكلة؛ فالشعراء منذ العصر الجاهلي، نرى نظمهم لا يخرج عن هذه الصفات والألفاظ وما يندرج تحتها من المعاني، فالمهم طريقة التناول، والأسلوب، وأزعم أنهم لم يغالوا مغالاة تخرجهم إلى الشكلية الفارغة ـ كما رأى الدكتور/ سلام ـ وإنَّما وجدناهم قد اتصلوا بقضايا أمتهم فخرجت

---

(١) الأدب العربي في مصر من الفتح إلى نهاية الدولة الأيوبية:٢٧٧.
(٢) السابق:٢٧٨.
(٣) الروضتين في أخبار الدولتين، ٣/ ٤٠٤، ٤١١.
(٤) الأدب في العصر الأيوبي، ٣٢٠.

معانيهم صادقة، واستخدموا الصور البديعة، والجناس والطباق وغيره من الأساليب البديعية، كما وظفوا الشخصيات والرموز، كشخصية يوسف عليه السلام وعمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره من الصحابة الكرام، بالإضافة إلى غيرهم من الرموز التي لا زال الشعراء يستلهمونها إلى عصرنا هذا.

ولست وحدي الذي يرى ذلك في شعر العصر الأيوبي، فالأستاذ/ محمود مصطفى، يقول:" وإن من يتتبع دواوين شعراء هذا العصر يجدها زاخرة بالتحريض على القتال والتهنئة بالنصر، والحمد على حسن البلاء، فترى الشعر في هذه الدواوين قد لبس ثوب الحقيقة، واتصل بالواقع أتم اتصال، **فصارت له روعة ودبت فيه حياة لم تكن تعهد قبل ذلك في الشعر العربي** الذي سوَّى بين الجبان الرعديد، والبطل الصنديد، فجعلهما جميعا يحميان الذمار ويأبيان الفرار"(١).

وإلا فأيَّة روح شعرية يتحدث عنها الدكتور/ سلام، ألم تقع عينه على هذه الصورة الرائقة؛ التي يقول فيها الملك المظفر بن شاهنشاه(٦٤٢هـ)، مهنئًا ومادحًا عمَّه السلطان الملك الناصر(٥٨٩هـ) بفتح القدس:(من الكامل)

جاءتك أرض القدس تطلب ناكحا يا كُفْأَهَا، ما العذر من عذرائها
زفّت إليك عروس خدر تجتلى ما بين أَعْبُدِهَا وبين إمائها
إيهٍ صلاح الدين، خذها غادة بكرا، ملوك الأرض من رفقائها
كم طالب لجمالها قد ردّه عن نيلها أن ليس من أكفائها! (٢)

فقد جسَّد القدس فتاة جميلة يطلبها الملوك من كل حدب وصوب، لكنها لم تجد كفئًا إلا البطل صلاح الدين، فزفت إليه عروسًا تفوق عرائس الأبكار، بل تتجلى في خدرها وعلى جانبي ركابها العبيد والإماء يزفونها، وينادون بأصوات مرتفعة على صلاح الدين؛ كي يأخذ هذه الغادة الجميلة البكر الحسناء، فهو الكُفْء الوحيد لها!! بل انظر إلى اعتماده على أسلوب النداء الذي يدلُّ على التعظيم والتفخيم في قوله: (يا كُفْأَهَا)، وفي قوله الرائق:(إيهٍ صلاح الدين)؛ ممَّا يدلُّ على شدة الإلحاح، وطلبًا في الإسراع من جانب البطل صلاح الدين، كذلك استخدامه (كم) العددية في قوله:(كم طالب لجمالها)؛ مما يدل على كثرة المتقدمين لتلك العروس الحسناء!!

ألم تقع عينه على مطلع قصيدة حسام الدين خُشترين بن تليل(٦١٩هـ)، في رثاء ملكة خاتون(٦١٦هـ)، زوجة الملك المنصور(٦١٧هـ)؛ حيث يقول:(من البسيط)

الطرف في لجة والقلب في سعر له دخان زفير طار بالشرر
ظللت ما بين إنكار ومعرفة أقلب الطرف بين الخُبْر والخَبَر

(١) الأدب العربي في مصر من الفتح إلى نهاية الدولة الأيوبية:٢٧٧.
(٢) مفرج الكروب، ٢٣٦/٢، ٢٣٧ .

حتـــى رأيـــت نجومـــا أطلعـــت شـــفقا علـى شـموس وجـوه فـي دجـى شـعر![1]

فما أروع هذا المطلع الذي عبَّر فيه الشاعر عن مدى قلقه وحيرته وحزنه، وهو يتحرى خبر وفاة ملكة خاتون، فعينيه كأنهما لجة من ماء؛ ممَّا يدلُّ على كثرة الدموع، وقلبه يتقد نارًا؛ هذه النار لها دخان يخرج عن طريق الزفير؛ كأنه شررٌ يتطاير!! ممَّا يدلُّ على شدة القلق والحيرة، وظلَّ يترقب الأخبار حول تأكيد هذا الخبر إلى أن ثبت صحته، ممَّا أدَّى إلى تداخل مشاعره. بل ما أجمل وصفه للباس السلطان المنصور؛ حيث جاء لابسًا ثوبًا أزرقًا وعمامة زرقاء، وإلى جانبه أولاده الملك الناصر (قلج أرسلان) وإخوته، وعليهم كلهم الحِداد، ويؤكد ذلك قوله:

ما كنت أعلم أن الشمس قد غربت حتى رأيت الدجى ملقى على القمر[2]

(١) ينظر: السابق، ٤/٦٥، ٦٦.

(٢) ينظر: السابق، ٤/٦٥، ٦٦.

المبحث الثالث

الشهرة ونبل القائل

يُعدُّ معيار الشهرة من المعايير المهمَّة التي كان يستند إليها مصنِّفو كتب الاختيارات الشعرية؛ لكنَّهم كانوا يتفاوتون في استخدامهم هذا المعيار المهم، فنجد ـ مثلا ـ حماد الراوية(١٥٥هـ)، يعتمد هذا المعيار أساسًا عند اختياره معلقات الشعراء الجاهليين، بل إنَّه جعل الشهرة معيارًا يفاضل به بين الشعراء وبين القصائد، ولا شكَّ في أن اعتماده هذا المعيار، قد أفرز لنا مجموعة من القصائد، هي من عيون الشعر العربي، ومجموعة من الشعراء، هم من أساطين الشعر على مر العصور والدهور.

فإذا ما انتقلنا إلى المفضليات، نجد المفضل الضبِّي(١٦٤هـ)، لا يتنازل عن هذا المعيار الأساسي في جُلِّ اختياراته الشعرية، وإن وجد عنده اختيارات لبعض الشعراء المقلين؛ فإنك لا تعدم لهم نصيبًا من الشهرة، مثل: تأبط شرا(٨٠ق.هـ)، والشنفرى(٧٠ق.هـ)، وأبي ذؤيب الهذلي(٢٧هـ)، ومتمم بن نويرة(٣٠هـ)، وغيرهم...

ومثله فعل الأصمعي(٢١٦هـ) في اختياراته، بينما ركَّز أبو زيد القرشي(نحو ٣١٠هـ) صاحب(الجمهرة) على المشهورين فقط، بينما يشبُّ أبو تمام (٢٣١هـ)على الطوق، فيعتمد في حماسته أشعار المغمورين أكثر من أشعار المشهورين؛ فالأحقية عنده لمن توفرت الجودة الفنية في شعره، لكنَّ البحتري(٢٨٤هـ)، جاء من بعده ليسير على منهج القدماء في الاختيار، فلم يضمِّن حماسته سوى أشعار المشهورين(١).

ومع ما ذهبنا إليه من التوسع في الرؤية عند دراسة قضية الاختيارات، نجد كتَّاب التاريخ ـ مثلا ـ يعمدون إلى اختيار أشعار المشهورين والمغمورين، وربما تترجح كفة فريق على فريق آخر.

وانطلاقًا من قول ابن سلام(٢٣٢هـ) في طبقاته:" فاقتصرنا من الفحول المشهورين..."(٢)، وقول ابن قتيبة(٢٧٦هـ):" وقد يختار ويحفظ ـ أيضا. لنبل قائله"(٣)، تطالعنا بعض الاختيارات الشعرية التي تدل على أن ابن واصل(٦٩٧هـ) كان يزن اختياراته الشعرية بمعيار الشهرة والفحولة ونبل القائل، فتارة تكون الفحولة والشهرة للشاعر، مثل قوله: "كان عمارة بن على اليمنى من الشعراء الفحول المجيدين"(٤).

---

(١) ينظر: الشهرة معيارا في كتب الاختيارات الشعرية، د./ صبا عبد الستار، جامعة بابل، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، ٢٠١٤م، م١، ع١٨، ٣٥٠ـ ٣٥٦.

(٢) طبقات فحول الشعراء، ابن سلام، تحقيق/ محمود شاكر، دار المدني، جدة، بدون، ١/٢٤.

(٣) الشعر والشعراء،١/٨٥– ٨٧.

(٤) مفرج الكروب، ١/٢٥١.

وتارة يكون الاختيار معتمدًا على نبل القائل، وشهرة شعره، مثل قوله:" **وللناصر [يعني: الخليفة العباسي الناصر لدين الله] شعر مشهور...**"[١]، وفي السياق ذاته، يقول في ترجمة الملك الأمجد(٦٢٧هـ):" كان يقول الشعر الجيد البديع الذى يضاهى به شعر شعراء عصره المجيدين، **وله ديوان شعر مشهور**، ويعنى بشيء من شعره، ولم يكن في بنى أيوب أشعر منه، وبعده الملك الناصر داود بن الملك المعظم"[٢].

يلاحظ أن ابن واصل(٦٩٧هـ) ركَّز على نبل الملك الأمجد(٦٢٧هـ)، بل قارن بينه وبين نبيلٍ آخر وهو الخليفة الناصر لدين الله، ثم حكم بتفوق الأول، كما حكم بمضاهاة شعره للشعراء المجيدين في عصره، ثم أكَّد على شهرة ديوانه؛ ولا شكَّ في أن ذلك راجع إلى شهرته على المستوى السياسي، والاجتماعي، فهو شاعر ملك!!

وعندما تحدث ابن واصل(٦٩٧هـ) عن الملازمين للملك الأمجد(٦٢٧هـ)، نراه لم يختزْ شعرًا إلا لمن هو في منزلته في شعره وشهرته؛ حيث يقول: "وممن لازم خدمة الملك الأمجد من الفضلاء وأقام عنده زمانا الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، **وله فيه قصائد حسان مذكورة في ديوانه، وهى مشهورة**"[٣].

يلاحظ أن ابن واصل(٦٩٧هـ) ركَّز في حديثه على شهرة قصائد الشيخ شرف الدين بن عبد المحسن، ومن هنا نقول: إن الشهرة قد تكون للشاعر نفسه، أو للقصيدة نفسها، أو للديوان نفسه، أو تكون ناتجة عن نُبل القائل؛ فشهرته ـ لا شكَّ ـ نابعة عن مكانته الاجتماعية، والسياسية.

بل إنَّهُ من الممكن أن يتقدم الشاعر عند الملوك، وتكون له حظوة بما له من شعر، أو فن اشتهر به، ومنه قوله في صلاح الدين الإربلي(نحو ٦٣١هـ):" **وله نظم حسن ودوبيت**[٤] **بديع، وبه تقدّم عند الملوك**، ثم إن الملك الكامل تغيَّر عليه في المحرم سنة ثمان عشرة وستمائة وهو بالمنصورة في مقابلة الفرنج بعد تملكهم دمياط، ولم يزل في الاعتقال مضيقًا عليه إلى شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وستمائة، فكتب الصلاح إلى السلطان الملك الكامل بدوبيت يستعطفه، وهو:

---

(١) السابق،٤/ ١٦٨، ووفيات الأعيان، ٣/ ٤٢١.

(٢) مفرج الكروب،٤/ ٢٨٥.

(٣) السابق،٤/٢٩٣.

(٤) وهو: شعر مستعار وزنه من الفارسية، ويتكون اسمه من كلمة:(دو)، بمعنى اثنين، و(بيت) عربية، كل بيتين في القصيدة متفقان في الوزن والقافية، ويكونان وحدة مستقلة. ينظر: معجم المصطلحات العربية، ط/٢، ١٩٨٤م، ١٧٠.

مـــا أمـــر تجنيـــك علـــى الصـــب خفـــى أفنيـــت زمـــاني بالأســـى والأســـف
مـــاذا غضـــب بقـــدر ذنبـــي ولقـــد بالغـــت ومـــا أردت إلا تلفـــى "[١]

ومن الشعراء النبلاء المشهورين الذين اختار لهم ابن واصل(٦٩٧هـ)، الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد(٦٦٢هـ)، المعروف بابن قاضي حماه[٢]؛ حيث هنّأ الملك المظفر(٦٤٢هـ)، بما تمَّ من فتح قلعة بعرين غربي حماة، ومدحه بقصيدة يقول فيها:(من البسيط)

يـــوم نصـــرت بـــه العليـــاء والجـــودا وســـاعة غـــادرت صـــيدا لـــك الصـــيدا
وموقـــف ســـؤت كـــل الحاســـدين بـــه كمـــا ســـررت بـــه عـــدلا وتوحيـــدا
أنطقـــت بـــالفتح أعـــواد الوشـــيج ومـــا أحللـــت مـــن ذكـــره مـــن منبـــر عـــودا
لـــولاك مـــا شـــدّ أزر المســـلمين كمـــا بنيـــان عـــزّهم لـــولاك مـــا شـــيدا
بـــادرت بـــارين إذ بـــارت رعيتهـــا جهـــدا وغـــودر عنهـــا الأمـــن مطـــرودا[٣]

بل إن المستقرئ لاختيارات ابن واصل الشعرية، يجد أنها ـ في أغلبها ـ منتقاة لشعراء مشهورين في العصر الأيوبي، بل في الادب العربي بأجمعه، ومنهم: عمارة اليمني(٥٦٩هـ)، وابن سناء الملك(٦٠٨هـ)، وابن النبيه(٦١٩هـ)، وابن عنين(٦٣٠هـ)، وابن مطروح(٦٤٩هـ)، وبهاء الدين زهير(٦٥٦هـ) ، فضلا عن الشعراء الملوك، كالملك المنصور(٦١٧هـ)، والملك الأفضل بن صلاح الدين(٦٢٢هـ)، والملك الأمجد(٦٢٧هـ)، والملك الكامل(٦٣٥هـ)، والملك المظفر(٦٤٢هـ)، والملك الناصر داود(٦٥٦هـ)، وغيرهم...

وربَّما يكون الشاعر مشهورًا في مجال الأدب، ولا يتعرض ابن واصل لاسمه؛ لأن شعره جاء في مقام الهجاء أو التعريض بأحد الملوك أو الوزراء، مثل ما ذكره في سيرة الملك الكامل؛ حيث يقول: "وبلغني عن حلمه أن رجلا من شعراء مصر **كان بمنزلة من الأدب** تعرض لهجوه مرارًا، وهو يغضى عنه ولا يعاقبه، فبلغ من لآمة ذلك الشاعر حين رأى أن السلطان لا يقابله على فعله أن قال:

ومـــا تـــركهم للقتـــل حلمًـــا وإنمـــا يـــرون بقـــاء المـــرء فـــي عصـــرهم أشـــقى

فبلغ الملك الكامل ذلك فلم يلتفت إلى قوله"[٤].

ومن ذلك ـ أيضًا ـ ما ذكره من خبر الوزير نصير الدين ناصر بن مهدى العلوى، عندما أساء التعامل مع أحد مماليك الخليفة الناصر لدين الله(٦٢٢هـ)؛ حيث يقول: "وقال بعض الشعراء

(١) مفرج الكروب،٥/ ١٦٥، ووفيات الأعيان، ١/١٨٥.
(٢) ينظر: مفرج الكروب، ٥/٦٩.
(٣) ينظر: السابق، ٥/٦٩
(٤) السابق، ٥/١٥٦، ١٥٧.

فيه أبياتًا يعرّض فيها بأن الوزير يروم الخلافة لنفسه، لشرفه، وهي:

ألا مبلـــغ عنـــى الخليفـــة أحمـــدا تـــوقّ وقيـــت الســـوء مـــا أنـــت صـــانع
وزيـــرك هـــذا بـــين أمـــرين فيهمـــا فعالـــك يـــا خيـــر البرّيـــة ضـــائع
فـــإن كـــان حقّـــا مـــن ســـلالة أحمـــد فهـــذا وزيـــر فـــي الخلافـــة طـــامع
وإن كـــان فيمـــا يـــدّعى غيـــر صـــادق فأضـــيع مـــا كانـــت لديـــه الصّـــنائع

فعزله الخليفة..."[١].

بل ربَّما يركِّز ابن واصل على شهرة الشعر أكثر من التركيز على شهرة قائله، ومن ذلك ما ختم به حديثه عن زوال الدولة الفاطمية؛ حيث يقول:" وتعفّت آثارهم بالكلية، إن في ذلك لموعظة وذكرى لأولى الألباب، كما قال بعضهم:

إذا امـــتحن الـــدنيا لبيـــب تكشّـــفت لـــه عـــن عـــدوّ فـــي ثيـــاب صـــديق"[٢]

ولم يشذ ابن واصل في اعتماده على معيار الشهرة إلا في بعض الاختيارات القليلة لبعض المغمورين، ومن ذلك قوله:" **وقام يومئذ رجل من الفقهاء**، ومدح الخليفة[يعني: الخليفة العباسي المستنصر] بقصيدة يقول فيها مخاطبًا الخليفة:(من الكامل)

لـــو كنـــت فـــي يـــوم الســـقيفة حاضـــرا كنـــت المقـــدم والإمـــام الأروعـــا[٣]

فغضب الملك الناصر [داود] لله تعالى؛ لكون ذلك الفقيه لأجل سحت الدنيا أساء الأدب على أبى بكر الصديقﷺ ، خليفة رسول الله ﷺ ، وثاني اثنين، وعلى عمر بن الخطابﷺ ، وعثمان بن عفان ﷺ ، وعلى بن أبى طالب ﷺ ، وسادات المهاجرين والأنصار الحاضرين يوم السقيفة، وجعل الخليفة المستنصر مقدمًا عليهم.

فقال الملك الناصر [داود] لذلك الفقيه: أخطأت فيما قلت، كان ذلك اليوم جدّ سيدنا ومولانا الإمام المستنصر بالله العباس بن عبد المطلب ـ عم رسول الله ﷺ ـ حاضرًا، ولم يكن المقدم والإمام الأروع إلا أبا بكر الصديق ﷺ فخرج المرسوم في ذلك الوقت بنفي ذلك الفقيه من بغداد فنفى، وذلك الفقيه هو وجيه الدين القيرواني، وكان فقيها فاضلا"[٤] .

يلاحظ أن ابن واصل(٦٩٧هـ) أتى بهذا البيت لرجل مغمور على مستوى قول الشعر؛ لهدف عنده، وهو المحافظة على العقيدة الإسلامية الصحيحة، التي هي عقيدة أهل السنة؛ حيث أنزل

---

(١) السابق، ١٧٨/٣، ١٧٩.

(٢) السابق،٢٠٤/١. والبيت لأبي نواس. ينظر: ديوان أبي نواس، دار صادر، بيروت، بدون، ٤٦٥.

(٣) الأورعا. ينظر: سير أعلام النبلاء، الرسالة،٢٣/ ٣٧٩.

(٤) مفرج الكروب: ٢٠١/٤، ١٠٨/٥، وسير أعلام النبلاء، الرسالة، ٣٧٩/٢٣.

الصحابة المكانة اللائقة بهم ـ لا سيما ـ الخلفاء الراشدين[١]، ومن زاوية ثانية؛ ليُبيِّن كيف كانت عقيدة ملوك وسلاطين الدولة الأيوبية سليمة وبعيدة عن الزيغ والضلال ـ بخلاف سابقيهم ـ وقد مثَّلهم من خلال هذا الموقف[٢] ـ الذي نحن بصدد تحليله ـ الملك الناصر داود(٦٥٦هـ) الذي دافع عن الصحابة الكرام بأسلوب منقطع النظير، بل إنَّه يُمكِنُ القول إن كلمة الناصر داود(٦٥٦هـ)، حرَّكت الخليفة المستنصر، فأمر بنفي وجيه الدين الفقيه، قبل أن يزغ قلبُه لمكانة غير مستحقة، أو إطراء غير صادق، يحركه طلب المال الحرام، وليس النوال والجائزة الحسنة، ومن زاوية ثالثة، يدلُّ هذا الموقف على أن ابن واصل كان لا يميل إلى شعر التكسب الذي يخرج إلى الغلو غير المقبول.

وقد يختار ابن واصل(٦٩٧هـ) شعرًا لرجل مغمور؛ ليستأنس بموقفٍ طريفٍ يصير بعد ذلك من الشهرة بمكان؛ لتعلقه أو صدوره من أحد ملوك الدولة الأيوبية، ومن ذلك قوله:" وجرى أمرٌ طريف من الملك المعظم، وهو أنه لما استقَّر بقلعة دمشق جاءه الشعراء يهنئونه ويمدحونه، فحضر رجل من أهل دمشق وامتدحه بقصيدة مطلعها:(من الخفيف)

قل لنا كيف جئت من حصن كيفا[٣] حين أرغمت للأعادي أنوفاً

فأجابه الملك المعظم في الوقت:(من الخفيف)

الطريق الطريق يا ألف نحسٍ مرة آمناً وطوراً مخوفاً

فاستظرف الناس ذلك من الملك المعظم، واشتهرت هذه القضية، وعيَّد الملك المعظم بدمشق عيد الفطر"[٤].

كذلك من الاختيارات الشعرية القليلة التي اختارها ابن واصل لبعض المغمورين على مستوى قرض الشعر، قصيدة[٥] أبو غالب محمد بن سلطان النحوي المقرئ، التي ذكرناها في مدح السلطان صلاح الدين الأيوبيّ ـ عندما كسر (ابن لاون) الأرمني الصليبي ـ لكنه لم يشتهر بالشعر، كشهرته في اللغة، والإقراء.

---

(١) ويدلُّ على ذلك ـ أيضا ـ تصديه لضياء الدين ابن الأثير، عندما أساء الأدب مع أبي بكر الصديقﷺ الخليفة الأول لرسول اللهﷺ. ينظر: مفرج الكروب،٢٠١/٤.

(٢) وهناك من المواقف ما يؤكد على أن بعض الملوك والقادة الأيوبيين كانوا لا يفضلون الشعراء المتكسبين، ومنها: ما ذكره ابن واصل عن الأتابك شهاب الدين، في حق الشاعر شرف الدين الحلي، عندما وصل إلى قوله في مرثيته في الملك الظاهر:(من الطويل)

أيمكث بالشهباء عبد أبيكما ومادحه أم تستقل ركائبه

قال قولوا له: يرحل فلا حاجة لنا إليه، فإنا لا نعطى الشعراء شيئا. ينظر: مفرج الكروب،٢٤٦/٣.

(٣) "ويقال كيبا، وأظنّها أرمنية: وهي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر". معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط/٢، ١٩٩٥م، ٢٦٥/٢.

(٤) مفرج الكروب، ١٠٩/٦، وينظر: ذيل مرآة الزمان، ٨٢/٢.

(٥) ينظر: مفرج الكروب، ٩٩/٢، ١٠٠، والروضتين في أخبار الدولتين، ٣/ ٥٦، ٥٧، ، وفيهما قصة الغزوة بتمامها.

الخاتمة

بعد هذه الوقفة المتأنية مع سفر من الأسفار التاريخية المهتمة بالاختيار الأدبي، توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١- ارتأى البحث أنه لابد أن تتسع الرؤية في تحديد مفهوم الاختيار الشعري؛ لتشمل كثيرًا من الاختيارات الشعرية التي تجيء في ثنايا معالجات أخرى؛ حيث يظهر فيها مدى براعة أصحابها في الاعتماد على منهج نقدي، يقوم على كثير من المعايير أو المقاييس النقدية.

٢- أثبت البحث أن ابن واصل(٦٩٧هـ) كان صاحب منهج انطباعي (ذوقيّ)، يستند إلى موهبة شعرية، وذائقة نقدية، مكنته من اختيار أشعار مفرج الكروب وفق معايير الجودة التي حددها النقاد، ومنها: معيار جمال الأسلوب، بما ينطوي عليه من إصابة المعنى، وجودة اللفظ، ومعيار الصدق، ومعيار الشهرة ونبل القائل.

٣- نجح ابن واصل في اختيار الأشعار التي ركَّزت على فن المدح، لخدمة أهدافه، وأيديولوجياته، وعقائده التي يؤمن بها، ومواقفه التي يتبناها، وهذا ـ لا شكَّ ـ يؤكد على أن كتَّاب التاريخ وغيرهم من أصحاب الموهبة الأدبية والنقدية، يستطيعون أن يشكِّلوا رؤاهم التاريخية من خلال الأشعار ـ لا سيما ـ التي تجيء في ثوب الفنون الشعرية، كالمدح وغيره من فنون الشعر.

٤- اختار ابن واصل لنفسه طريقة في التمييز بين الروايات والتصرف فيها، جعلته يتفرد بها على غيره من المؤرخين.

٥- أظهر البحث أنه بدراسة الاختيارات الشعرية في ظلِّ دوحة التاريخ الغنَّاء، نستطيع أن نزيل التشويه الواقع على بعض العصور الأدبية؛ التي نُسِبَ إليها ما ليس فيها من الضعف والتأخر ـ خاصة ـ ما ثبَّته النقاد في أذهان القراء، بل والمهتمين بالدراسة الأدبية والنقدية عن العصور الوسطى (أدب الدول المتتابعة)، ولعل ما بينَّاه في سياق الحديث عن الصدق، كمعيار وأساس جمالي وأدبي، يكون من الأدلة القوية في هذا الصدد.

وفي الختام، أرجو أن يكون هذا البحث خطوة على الطريق؛ لتصحيح بعض الآراء الأدبية والنقدية، التي اشتهرت في دنيا الأدب والنقد، مع أنها لا تلتزم منهجًا يعتمد على التثبت والقراءة الواعية من كل الزوايا.

المصادر والمراجع

- الاختيارات الشعرية حتى نهاية العصر العباسي: أسبابها وخلفياتها. الدكتور/ سعيد صيد، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة أم البواقي، ٢٠١٨م.
- الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأيوبي، محمود مصطفى، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م.
- الأدب في العصر الأيوبي، د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية،١٩٩٠م.
- أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، تح/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ٢٠٠١م.
- الأسس الفنية للنقد الأدبي، د. عبد الحميد يونس، كتب عربية، بدون.
- أسس النقد الأدبي عند العرب، د. أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٦م.
- الأسلوب(دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)، د. أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط/٨، ١٩٩١م.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط/٥، ٢٠٠٢م.
- أعيان العصر وأعوان النصر، الصفدي، تح/ مجموعة من المحققين، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دمشق، سوريا، ط/ ١، ١٩٩٨م.
- البرق الشامي، العماد الأصبهاني، تح/ د. فالح حسين، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن، ط/١، ١٩٨٧م.
- بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، تح/ د. سهيل زكار، دار الفكر، بدون.
- البلاغة العربية (أصولها وامتداداتها): محمد العمري، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء، المغرب، بدون.
- بناء القصيدة العربية الحديثة، د. علي عشري زايد، مكتبة ابن سينا، ط/٤، ٢٠٠٢م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط/٤، ١٩٨٣م.
- جماليات الأسلوب عند شعراء الحداثة، عصام شرتح، مجلة رسائل الشعر، ٢٠١٦م.
- حياة الحيوان الكبرى، الدميري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٢، ١٤٢٤هـ.
- خريدة القصر وجريدة العصر(قسم شعراء العراق)، العماد الأصبهاني، تحقيق/ محمد بهجة الأثري، مطبعة المجمع العلمي العراقي،١٩٥٥م.
- خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م.
- دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين، د. محمد كامل حسين، مؤسسة هنداوي، بدون.
- ديوان إبراهيم اليازجي، الشاملة، بدون، http://www.shamela.ws .

- ديوان ابن الساعاتي، تح/ أنيس المقدسي، المطبعة الأميريكانية، بيروت، ١٩٣٨م.
- ديوان ابن النبيه، كمال الدين على بن محمد، مطبعة ثمرات الفنون، ١٩٢٩م.
- ديوان ابن سناء الملك، تح/ محمد إبراهيم نصر، د.حسين نصار، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٩م.
- ديوان ابن عنين، شرف الدين أبي المحاسن محمد بن نصر، تحقيق/ خليل مردم، دار صادر، بيروت، ط/٢.
- ديوان ابن مطروح، تح/ حسين نصار، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- ديوان أبي الطيب المتنبي، تح/ د. عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، بدون.
- ديوان أبي نواس، دار صادر، بيروت، بدون.
- ديوان الجزار، يحيى بن عبد العظيم، منشأة المعارف، ٢٠٠٢م.
- ديوان العماد الاصبهاني، الشاملة ، بدون.
http://shamela.ws/index.php/book/٦٦٨٠١
- ديوان الملك الناصر داود، تح/ جودة أمين، دار الهاني، ١٩٩٠م.
- ديوان بهاء الدين زهير، دار بيروت، ودار صادر، بيروت، ١٩٦٤م.
- ذيل مرآة الزمان، اليونيني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط/٢، ١٩٩٢م.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، الزمخشري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١.
- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، أبي شامة، تح/ إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ ١، ١٩٩٧م.
- سقط الزند، أبو العلاء المعري، دار بيروت، ودار صادر، لبنان، ١٩٥٧م.
- سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ابن معصوم، ط/١، مصر، ١٣٢٤هـ.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، المقريزي، تح/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٩٩٧م.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، ط/٣، ١٩٨٥م.
- شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي، تح/ راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/٢، ١٩٩٤م.
- شرح ديوان الحماسة، المرزوقي، تح/ غريد الشيخ، وإبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط/١ ١٤٢٤هـ.
- شعر دعبل الخزاعي، تح/ د. عبد الكريم الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط/٢، ١٩٨٣م.
- الشعر في العصر العباسي الأول: د. غازي طليمات، أ/ عرفان الأشقر، قنديل للطباعة والنشر، الإمارات العربية المتحدة، ط/١، ٢٠١٨م.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

- الشهرة معيارا في كتب الاختيارات الشعرية، د./ صبا عبد الستار، جامعة بابل، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، ٢٠١٤م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، للقلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون.
- الصناعتين، أبو هلال العسكري، تح/ محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.
- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام، تحقيق/ محمود شاكر، دار المدني، جدة، بدون.
- ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم : رائد عبد الرحيم، مجلة جامعة الأزهر، غزة، سلسلة العلوم الإنسانية، ٢٠١٠م.
- علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، بدون.
- عماد الدين الأصفهاني شاعرا، دراسة تحليلية نقدية، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان، حيدر خليفة أحمد، ٢٠٠٩م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط/٥، ١٩٨١م.
- عيار الشعر، ابن طباطبا، تح/ عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون.
- فنون الأدب العربي (المديح) : د. سامي الدهان دار المعارف، ط/٥، بدون.
- كتاب (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل الحموي) دراسة تحليلية نقدية، عماد حمدي أحمد الإبياري، باحث ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٢١م.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط/ ٣، ١٤١٤هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب، ابن الأثير، تح/أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، بدون.
- مطالع البدور في منازل السرور، الغزولي، بدون.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط/٢، ١٩٩٥م.
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط/١، ١٩٨٥م.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط/٢، ١٩٨٤م.
- المعجم المفصل في الأدب، د. محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/٢، ١٩٩٩م.
- معجم مصطلحات العروض، محي الدين مينو، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة،٢٠١٤م.
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ابن واصل، ج١ـ ٣، تح/ جمال الدين الشيال، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٣م، والمطبعة الأميرية، ١٩٥٧م، ودار القلم، ١٩٦٠م، القاهرة، ج٤، ٥، تح/ حسنين محمد ربيع، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٢م، ١٩٧٧م، ج٦، تح/ عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٤م.

- مقدمة في دراسة بلاغة العرب، أحمد ضيف، مطبعة السفور، مصر، ١٩٢١م.
- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، الآمدي، تح/ السيد أحمد صقر، مكتبة الخانجي، ط/١، ١٩٩٤م.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المقريزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤١٨هـ.
- نصوص من النقد العربي القديم مع مقدمة تحليلية: د. محمود الربيعي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢٠٠٠م.
- نقد الشعر: قدامة بن جعفر، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط/ ١، ١٣٠٢هـ.
- الوافي بالوفيات، الصفدي، تح/ أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.
- وفيات الأعيان، ابن خلكان، دار صادر، بيروت، بدون.

References and sources

Poetic choices until the end of the Abbasid era: their causes and backgrounds. Dr. Said Said, Journal of Human Sciences, Oum El Bouaghi University, ٢٠١٨

Arabic Literature in Egypt from the Islamic Conquest to the End of the Ayyubid Era, Mahmoud Mustafa, Dar Al-Kateb Al-Arabi for Printing and Publishing, Cairo, ١٩٦٧ AD

Literature in the Ayyubid period, d. Muhammad Zaghloul Salam, Mansha'at al-Maaref, Alexandria, ١٩٩٠ AD

Asrar al-Balagha in the science of eloquence, Abd al-Qaher al-Jarjani, edited by Abd al-Hamid Hindawi, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, i/١, ٢٠٠١ AD

The technical foundations of literary criticism, d. Abdel Hamid Younes, Arabic books, without

The foundations of literary criticism among the Arabs, d. Ahmed Badawy, Dar Nahdet Misr for Printing and Publishing, Cairo, ١٩٩٦ AD

Style (a rhetorical and analytical study of the origins of literary styles), d. Ahmed Al-Shayeb, The Egyptian Renaissance Library, Cairo, I/٨, ١٩٩١ AD

Al-Alam, Khair Al-Din Al-Zarkali, Dar Al-Ilm for Millions, I/٥, ٢٠٠٢ AD

Notables of the Age and Helpers of Victory, Al-Safadi, ed. / A group of investigators, House of Contemporary Thought, Beirut, Lebanon, Damascus, Syria, i/١, ١٩٩٨ AD

Al-Barq Al-Shami, Al-Imad Al-Asbahani, ed. / Dr. Faleh Hussein, Abdul Hameed Shoman Foundation, Amman, Jordan, i/١, ١٩٨٧ AD

In order to request in the history of Aleppo, Ibn al-Adim, ed. / d. Sohail Zakkar, Dar Al-Fikr, without

Arabic rhetoric (its origins and extensions): Muhammad Al-Omari, Africa of the East, Casablanca, Morocco, without

The construction of the modern Arabic poem, d. Ali Ashry Zayed, Ibn Sina Library, ٤th edition, ٢٠٠٢ AD

Crown of the bride from the jewels of the dictionary, Al-Zubaidi, a group of investigators, Dar Al-Hedaya, without

The history of literary criticism among the Arabs, d. Ihsan Abbas, House of Culture, Beirut, Lebanon, ٤th edition, ١٩٨٣ AD

The aesthetics of style among the poets of modernity, Issam Shartah, Resalat Al-Poetry Magazine, ٢٠١٦

The Great Animal Life, Al-Damiri, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, I/٢, ١٤٢٤ AH

Khareedat Al-Qasr and Al-Asr Newspaper (Iraqi Poets Section), Al-Imad Al-Asbahani, investigative by Muhammad Bahja Al-Athari, Iraqi Scientific Academy Press, ١٩٥٥ AD

Characteristics of Arabic letters and their meanings, Hassan Abbas, Arab Writers Union Publications, ١٩٩٨ AD
Studies in poetry in the Ayyubid era, d. Muhammad Kamel Hussein, Hindawi Foundation, without
Diwan Ibrahim Al Yazigi, Al Shamela, without, http://www.shamela.ws
Diwan of Ibn al-Saati, edited by Anis al-Maqdisi, The American Press, Beirut, ١٩٣٨ AD
Diwan of Ibn al-Nabih, Kamal al-Din Ali bin Muhammad, Thimarat al-Funun Press, ١٩٢٩ AD
Diwan of Ibn Sana Al-Malik, ed. / Muhammad Ibrahim Nasr, Dr. Hussein Nassar, Dar Al-Kateb Al-Arabi for Printing and Publishing, Cairo, ١٩٦٩
Diwan of Ibn Anin, Sharaf al-Din Abi al-Mahasin Muhammad ibn Nasr, investigation / Khalil Mardam, Dar Sader, Beirut, ٢nd edition
Diwan of Ibn Matrouh, ed. / Hussein Nassar, General Authority of the National Library and Documentation House, Cairo, ٤٢٠٠ AD
Diwan of Abi Al-Tayyib Al-Mutanabbi, edited / d. Abdel-Wahab Azzam, Committee on Authoring, Translation and Publishing, without
Diwan Abi Nawas, Dar Sader, Beirut, without .
Diwan Al-Butcher, Yahya bin Abdul-Azim, Mansha'at Al-Maaref, ٢٠٠٢ AD
Diwan Al-Imad Al-Asbahani, comprehensive, without.
http://shamela.ws/index.php/book/٦٦٨٠١
Diwan of King Al-Nasir Daoud, edited by Jouda Amin, Dar Al-Hani, ١٩٩٠ AD
Diwan Bahaa El Din Zuhair, Dar Beirut, and Dar Sader, Beirut, ١٩٦٤ AD
The Tail of the Mirror of Time, Al-Yunini, Dar Al-Kitab Al-Islami, Cairo, i/٢, ١٩٩٢ AD
Rabi` al-Abrar wa texts al-akhbar, al-Zamakhshari, al-Alamy Foundation, Beirut, ١st edition
Al-Rawdatain fi Akhbar Al-Dawlaat Al-Nuriya wa Al-Saliha, Abi Shama, T. / Ibrahim Al-Zaybak, Al-Resala Foundation, Beirut, I/١, ١٩٩٧ AD
The Fall of Al-Zind, Abu Al-Ala Al-Maari, Dar Beirut, and Dar Sader, Lebanon, ١٩٥٧ AD
Salafa Al-Asr in the Beauties of Poets in All Egypt, Ibn Masum, I/١, Egypt, ١٣٢٤ AH
Behavior to Know the Countries of Kings, Al-Maqrizi, ed. / Muhammad Abdel-Qader Atta, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Lebanon, Beirut, ١٩٩٧
Biographies of the Nobles, Al-Dhahabi, a group of investigators, Al-Resala Foundation, I/٣, ١٩٨٥ AD
Explanation of Abi Tammam's Diwan of Al-Khatib Al-Tabrizi, edited by Raji Al-Asmar, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, Edition ٢, ١٩٩٤ AD

Explanation of Diwan Al-Hamasah, Al-Marzouki, T/Grid Al-Sheikh, and Ibrahim Shams Al-Din, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Lebanon, i/١ ١٤٢٤ AH
Poetry of Da'bal Al-Khuza'i, edited by / Dr. Abdul Karim Al-Ashtar, Publications of the Arabic Language Academy, Damascus, ٢nd Edition, ١٩٨٣ AD
Poetry in the first Abbasid era: Dr. Ghazi Tulaimat, Mr. Irfan Al Ashkar, Qandil Printing and Publishing, United Arab Emirates, ١st Edition, ٢٠١٨
Poetry and Poets, Ibn Qutayba al-Dinori, Dar al-Hadith, Cairo, ١٤٢٣ AH
Fame as a Standard in the Books of Poetic Choices, Dr./ Saba Abdel Sattar, University of Babylon, Journal of the College of Basic Education for Educational and Human Sciences, ٢٠١٤
Subh Al-Asha in the Construction Industry, Al-Qalaqshandi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, without
The two industries, Abu Hilal Al-Askari, edited by Muhammad Al-Bajawi, and Muhammad Abu Al-Fadl, Al-Asriya Library, Beirut, ١٤١٩ AH
Layers of Stallion Poets, Ibn Salam, investigated by Mahmoud Shaker, Dar Al-Madani, Jeddah, without
The phenomenon of earning by poetry and its manifestations in ancient Arab criticism: Raed Abdel Rahim, Al-Azhar University Journal, Gaza, Humanities Series, ٢٠١٠
Budaiya science, Dr. Abdel Aziz Ateeq, Dar Al-Nahda for printing, publishing and distribution, Beirut, Lebanon, without
Imad Al-Din Al-Isfahani, poet, a critical analytical study, PhD thesis, Omdurman University, Haider Khalifa Ahmed, ٢٠٠٩ AD
Al-Omda fi Beauties of Poetry and its Etiquette, edited by / Muhammad Muhyi Al-Din Abdul Hamid, Dar Al-Jeel, I/٥, ١٩٨١ AD
The caliber of poetry, Ibn Tabataba, edited by Abdul Aziz bin Nasser Al-Manea, Al-Khanji Library, Cairo, without
The Arts of Arabic Literature (praise): Dr. Sami Al-Dahan, Dar Al-Maaref, I/٥, without
The book (Mufarrej Al-Karub fi Akhbar Bani Ayyub by Ibn Wasil Al-Hamawi) a critical analytical study, Imad Hamdi Ahmed Al-Ibiari, Master's Researcher, Faculty of Dar Al-Uloom, Cairo University, ٢٠٢١ AD
Lisan Al Arab, Ibn Manzur, Dar Sader, Beirut, I/٣, ١٤١٤ AH
The Proverb in the Writer’s Literature, Ibn Al-Atheer, Tah / Ahmed Al-Hofi, and Badawi Tabana, Egypt’s Renaissance House, Cairo, without
Mutla’ Al-Bdour in Manazel Al-Surour, Al-Ghazouli, Bidoun
Dictionary of Countries, Yaqout Al-Hamawi, Dar Sader, Beirut, ٢nd edition, ١٩٩٥ AD
Dictionary of Contemporary Literary Terms: Dr. Saeed Alloush, The Lebanese Book House, Beirut, I/١, ١٩٨٥ AD
A Dictionary of Arabic Terms in Language and Literature, Majdi Wahba, and Kamel Al-Mohandes, Library of Lebanon, Beirut, I/٢, ١٩٨٤ AD

Detailed dictionary of literature, d. Muhammad al-Tunji, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, ٢nd edition, ١٩٩٩ AD
A Dictionary of Show Terms, Mohieddin Mino, Department of Culture and Information, Sharjah, ٢٠١٤
Mufarrej al-Karub in the news of Bani Ayyub, Ibn Wasel, vol. ١-٣, ed. / Jamal al-Din al-Shayyal, Fouad I University Press, ١٩٥٣ AD, and the Amiri Press, ١٩٥٧ AD, and Dar al-Qalam, ١٩٦٠ AD, Cairo, vol. ٤, ٥, ed. Hassanein Muhammad Rabie, Press Dar al-Kutub, ١٩٧٢ AD, ١٩٧٧ AD, C٦, ed. / Omar Abdel-Salam Tadmuri, Al-Asriya Library, Beirut, ٢٠٠٤ AD

Introduction to the study of the rhetoric of the Arabs, Ahmed Dhaif, Al-Sfour Press, Egypt, ١٩٢١ AD
Balancing between the poetry of Abi Tammam and Al-Buhtari, Al-Amidi, ed. / Sayed Ahmed Saqr, Al-Khanji Library, i/١, ١٩٩٤ AD
Exhortations and Reflections on Remembrance of Plans and Effects, Al-Maqrizi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, I/١, ١٤١٨ AH
Texts from ancient Arabic criticism with an analytical introduction: Dr. Mahmoud Al-Rubaie, Dar Gharib for printing, publishing and distribution, ٢٠٠٠ AD
Criticism of poetry: Qudamah bin Jaafar, Al-Jawa'ib Press, Constantinople, I/١, ١٣٠٢ AH
Al-Wafi in Deaths, Al-Safadi, ed. / Ahmad Al-Arnaout, and Turki Mustafa, Heritage Revival House, Beirut, ٢٠٠٠ AD
Deaths of Notables, Ibn Khalkan, Dar Sader, Beirut, without.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص باللغة العربية	١٩٦٧
الملخص باللغة الإنجليزية.	١٩٦٨
المقدمة	١٩٦٩
التمهيد: الاختيارات الشعرية ومعايير الجودة الفنية. مفهوم الاختيارات الشعرية. معايير الجودة الفنية . مفرج الكروب(القيمة الأدبية والنقدية).	١٩٧٢ ١٩٧٢ ١٩٧٣ ١٩٧٦
المبحث الأول: جمال الأسلوب. المحور الأول: إصابة المعنى. المحور الثاني: الجمع بين جودة اللفظ وإصابة المعنى.	١٩٧٩ ١٩٨٠ ١٩٨٤
المبحث الثاني: الصدق المحور الأول: الصدق في اختيارات ابن واصل. المحور الثاني: أشعار المديح بين الفن والنقد.	١٩٩٢ ١٩٩٤ ١٩٩٨
المبحث الثالث: الشهرة ونبل القائل.	٢٠١١
الخاتمة.	٢٠١٦
فهرس المصادر والمراجع باللغة العربية.	٢٠١٧
فهرس المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية.	٢٠٢١
فهرس الموضوعات.	٢٠٢٥